

أثر تمكين اللهجة البيضاء في العناية باللغة العربية الفصيحة

أحمد فراج محمد إسماعيل

المقدمة:

الحمد لله الأكرم، الذي علم بالقلم، (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)، وأصلي على النبي الهادي وأسلم. وبعد: فأى شيء أولى بالأخذ والرعاية من لغة هي وعاء الدين والعلوم؟ تصون هوية العرب، وتلم شملهم، وتعيد مجدهم؛ وإن اللغة العربية هي إحدى اللغات الست الرسمية في هيئة الأمم المتحدة؛ اعتمدت في عام ١٩٧٤ لغة رسمية عالمية، وهي واحدة من أقدم لغات العالم، ويتحدث بها غالبية سكان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهي لغة رسمية في دول الوطن العربي، ويقبل الملايين على تعلم اللغة العربية بدافع ديني.

ليست اللغة العربية لغة حديثة، أو مهملة أو ضعيفة أو يتحدث بها عدد قليل، بل إنها جمعت من الميزات والخصائص ما يجعلها أم اللغات، ولكن ينقصها قوم يحملونها؛ فالفصيحة تكاد تقتصر على المثقفين ودور العلم والأدباء والكتاب، لتبقى الممارسة اليومية مقصورة -تقريباً- على اللهجات الخاصة بكل بلد، وهذا لعمري في خطورته كبير، فاللغة إن اقتصر على الكتابة توشك أن تموت على الألسن، لتبقى لغة دينية أو مؤسسية، وهنا مكنم الخطر، فمن المعروف أن اللغات تموت وتحيا وتتطور؛ لذلك تحتاج إلى الرعاية المستمرة.

ومن هذا المنطلق رأيت أن من أهم طرق الرعاية أن نبدأ في ممارسة اللغة الفصيحة فإن كان ذلك صعباً -نظراً لواقعنا الحالي- يمكن أن نتحدث باللهجة مشتركة قريبة من اللغة الفصيحة، نسعى إلى تمكينها ثم ننتقل منها إلى ممارسة اللغة الفصيحة تحدثاً كما نمارسها كتابة، هذه اللهجة المشتركة هي "اللهجة البيضاء".

الدراسة:

هذا المقترح وإمكانية تنفيذه من خلال الأدلة التي استشهد بها الباحث من وسائل التعليم والإعلام والثقافة والأدب والفن المختلفة، والتجارب الناجحة التي نفذت بعض القرارات الرسمية ذات الصلة.

وقد تقصيت الحقائق والخصائص المتعلقة بهذا المصطلح الجديد من خلال بعض المقالات والمشاهدات، ثم وضعت ضوابط هذه اللهجة لتحديد طغيانها على خصائص اللغة العربية الفصحى، وترتقي بها عن اللهجات الخاصة، وقد ذكرت بعض التجارب الحية التي نجحت ونالت استحسان المجتمع.

وقد خرجت من خلال دراستي بنتائج مباشرة توضح إمكانية أن تكون هذه

على رفع الكفاية اللغوية، وهو التحدث باللهجة قريبة من الفصيحة، وهو حل مشروط ومؤقت.

وتهدف الدراسة إلى تحديد مفهوم "اللهجة البيضاء" وإعادة صياغة المصطلح الجديد، ووضع ضوابطه وخصائصه؛ لئلا يصبح أداة هدم للغة الفصيحة، أو يُستخفُّ بدور هذه اللهجة الذي يمكن أن تؤديه.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها الأولى حول اللهجة البيضاء، فلم يحصل الباحث على دراسة سابقة عليها، ومن كونها مقترحة قابلاً للتنفيذ يُحوّل الحل إلى إجراء وممارسة ممكنة من خلال قرار رسمي ومؤسسي. وتأتي أدلة قبول

اضحت تعاني اللغة العربية من مشكلات حقيقية تحتاج إلى حلول جذرية لا تتوقف عند مرحلة الوصف والتحليل والاستنتاج، ولكنها تتخطى ذلك إلى الفعل والتنفيذ؛ لذلك جاءت فكرة تبني اللهجة البيضاء أي الواضحة الخالية من التعقيد ومن اللهجات الخاصة؛ لتكون نقطة انطلاق مرحلية لتمكين اللغة العربية الفصيحة.

إن الذي دفعني لهذه الدراسة هو الهوية الكبيرة بين ما ينادي به اللغويون والمتخصصون ومحبو اللغة الفصيحة وبين الواقع الذي تلمسته من خلال تدريسي للغة العربية، فرأيت أن حلاً وسطاً قد يساعد

رضي الله عنه - في كتابه لأبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: (تعلموا العربية) وأخرج عن ابن عمر: «أنه كان يَصْرِبُ وَدَهُ عَلَى اللَّحْنِ»، وأخرج عن الشَّعْبِيِّ قال: «النَّحْوُ فِي الْعِلْمِ كَالْمَلْحِ فِي الطَّعَامِ لَا يَسْتَعْنَى عَنْهُ»، وأخرج عن شُعْبَةَ قال: «مَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ الْحَدِيثَ وَلَا يَتَعَلَّمُ اللَّحْنَ مَثَلُ بُرَيْسَ لَا رَأْسَ لَهُ» (١). وقال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): "اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، وقال: "وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "تعلموا العربية فإنها من دينكم" (٢). وقد كان للدين الإسلامي الدور الأهم في الحفاظ على اللغة العربية؛ إذ لا يُصوّر أن هذه اللغة -مع إهمال أبنائها- كانت تظل بهذه القوة وهذا الثبات لولا أن هياً الله لها نصوصاً دينية محفوظة بوعده منه، ضمنت لها البقاء والثبات.

وقد جعل بعض اللغويين حب اللغة العربية من حب الله ورسوله، فقال أبو منصور الثعالبي: "من أحب الله تعالى، أحب رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن أحب رسوله العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية" (٣).

وان الفصاحة اصطلاح ينبغي أن يطلق على الاستعمال الصحيح المثالي المنسوب إلى العرب حسب ما أتفق عليه إلى حد مكاني ومكاني معين، إلا أن ارتباط اللغة العربية بالدين والقرآن جعل القرآن الكريم والحديث الشريف معيارين للاستخدام الأمثل للغة العربية الفصحى، قال المبرد: "وإنما يقال: بنو فلان أفصح

١-المبحث الأول: أهمية الفصحى والعناية بها ١،١ - ضرورة حماية اللغة العربية الفصحى.

اللغة العربية -فضلا عن كونها لغة ثرية وحيوية وتشمل أكبر عدد من مخارج جهاز الإنسان النطقي- يحتاجها ما يقرب من ربع سكان العالم في أداء شعائر دينهم، حتى جُعِلت من الدين لشدة لصوقها به، وكذا يحتاجها ما يزيد عن ربع عدد المسلمين في حديثهم اليومي، وتحفظ بتراث إنساني لمنطقة كبيرة وحيوية وقديمة، ونزل بها كتاب سماوي مقدس متحديا العرب أن يأتوا بمثله أو يُثبتوا اختلافه، فكانت العربية وما تزال مقصد علماء اللغة من أبنائها وغيرهم، حتى أكاد أزعم أنه لا توجد لغة قد خُدمت مثلاً خُدمت العربية لاسيما قبل النهضة الغربية الحديثة، وأنه لا توجد لغة عالمية كُتِبَ بها هذا العدد الكبير من الكتب الشرعية والفكرية والتخصصية، حتى إن جزءاً منها ردم به التتار مجرى دجلة حتى اسود من أحبارها، وما تزال تعطي عن يد ملاءى، ومعين ثرّ لا ينضب، وتبرز أهمية العناية باللغة العربية الفصحى ورعايتها لكونها لغة الدين وأنها رابطة الهوية العربية، وأنها أداة تفكير العرب، وأداة التعبير والتواصل، وحافضة التاريخ، ووعاء الثقافة، ومحل الثقة.

٢،١ - اللغة الفصحى والدين:

قد لا نجد لغة حظيت بهذه الصلة الوثيقة مع دين سماوي كما حظيت اللغة العربية، أخرج ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ)، في جامع بيان العلم وفضله عن عمر -

اللهجة أملا جديدا نعيد من خلاله اللغة العربية الفصحى إلى مكانتها، كما أنني استخلصت خصائصها وضوابطها التي تميزها عن اللهجات وتبين نبل مقصودها لمن يتشكك في الغرض منها.

إن اللهجة البيضاء جاءت من منطق الواقعية التي تفرض علينا أن نتعامل مع واقع نعيشه، وليس أملا يصعب تحقيقه، فهي في الخلاصة مرحلة انتقالية يمكن للجميع أن يلتزم بها من خلال قرار رسمي أو مؤسسي أو مجتمعي، إنها ليست دعوة لإهمال الفصحى، ولكنها خطوة واقعية نحو ممارسة عملية لاستخدام اللغة العربية الفصحى، ومن هنا يأتي دور تمكين هذه اللهجة وضرورة تبنيها من المؤسسات الحكومية والرسومية.

الدراسات السابقة

إن الدعوة إلى استخدام لغة مشتركة أولهجة مشتركة مطروحة، وليست جديدة، لكنني لم أحصل على دراسة واحدة موثقة متمكنة حول اللهجة البيضاء، ومع ذلك فإن دراستي هذه تمتاز عن تلك الدعوات ببعض الضوابط:

- النظر إلى اللهجة البيضاء بوصفها لهجة لا لغة فصحى، ومرحلية لا دائمة، ولغة تحدث فلا تكتب إلا بضوابط، ولا يكتب بها بوصفها لغة أدبية قط، ولا يتحدث بها المتخصصون والعلماء والخطباء وأولو الهمم.

- وضع ضوابط ترتفع بها عن الابتذال، وتقربها من الفصحى، لاسيما في الإعراب، والتعبير الجمالي.

من بني فلان، أي أشبه لغة بلغة القرآن ولغة قريش، على أن القرآن نزل بكل لغات العرب^(٤).

٣،١- اللغة الفصيحة وتعزيز الهوية العربية :

كانت اللغة العربية لغة قوم نالهم نصيب قليل من الحضارة قبل ما يزيد عن سبعة عشر قرناً، ولما نزل الإسلام في العرب وكان للناس كافة خرج العرب من جزيرتهم برسالة الإسلام إلى العالم، فدخلت الشعوب المجاورة للجزيرة العربية في الدين الجديد، وجعلوا لغة العرب لغتهم الرسمية، ومن ذلك الوقت والعربية تمثل جسر تواصل متيناً، أذاب الفروق التي كانت تفرق بين تلك الشعوب في الثقافة والعادات والتقاليد واللباس وغيرها.

يتكلم اللغة العربية الآن بوصفها لغة رسمية أولى ما يزيد عن أربعمئة مليون إنسان - حسب بعض التقديرات- جلهم في الوطن العربي، كلهم يتواصلون بها إذا ما حالت اللهجة المحلية دون التواصل الكامل، وكانت اللغة العربية سبباً في التقارب الكبير في عادات هذه الشعوب وتقاليدها وثقافتها ومعالمها الاجتماعية، وهذا ما يمكن أن نسميه الهوية العربية؛ فلا يمكن أن ننصوّر أمة تتعدد لغتها، فيمكن أن تتعدد أشكال الزي واللباس، أو بعض العادات والتقاليد، إلا أنه عندما تختلف اللغة يمكن أن تقسم هذه الأمة إلى أُمم متجاورة، وربما متناحرة؛ فمثلاً: لا يمكن أن يكون للأوروبيين هوية واحدة مهما نظموها اتحاداً اقتصادياً أو سياسياً.

هذه المنحة التي منحها الله تعالى للعرب ينبغي أن تستغل تماماً في الحفاظ

على الهوية العربية المستقلة، وتساعد في ترسيخ التفاهم والتقارب بين الدول العربية، وهو ما يدعو إلى الحفاظ على هذه المنحة بشتى الطرق الممكنة.

٤،١- منشأ اللهجات :

تعددت الأقوال في نشأة اللغة العربية زمانياً ومكانياً؛ ولا يوجد سند تاريخي يؤكد علماً بهذا المنشأ، ومع توفر حضريات ونقوش تميز بين اللهجات العربية البائدة، لم يصلنا من خبر نشأة اللغة الباقية إلا النصوص الشعرية الجاهلية التي وصلتنا ناضجة فلا تدع مجالاً لشك في أن نشأة اللغة قد سبقت هذه المرحلة الناضجة بزمن طويل.

ومن المتفق عليه أن اللغة العربية الأصيلة ليست لهجة واحدة، بل عدة لهجات، ترتبط بأماكن توزع القبائل في شبه الجزيرة العربية، وكانت القرى الكبيرة قد أطلت من نافذة ضيقة على الحضارة، وقد وهدت إليها ثقافات قبلية مختلفة اختلافاً سبيراً، ولهجات يمتاز بعضها عن بعض في الخصائص اللهجية، فعملت على صهرها في لهجة مشتركة واحدة، هي لهجة قريش، كانت هذه اللهجة المشتركة هي الأوسع انتشاراً.

ولما جاء الإسلام كان إعلاناً ملفتاً يبشر باتساع رقعة لهجة قريش المشتركة على الرغم من مراعاة القرآن تنوع اللهجات، إلا أنه مع مرور الوقت، وبفضل اتساع الرقعة السكانية، واختلاط الثقافات بعد الفتوحات الإسلامية، ووفود أجناس أعجمية إلى الجزيرة العربية، أهمهم الموالي، واتصال العرب بالأمم المجاورة، وظهور تيارات سياسية وعصبية وفرق

عقدية فتت في عضد الأمة، ثم مروراً بزمن احتلال الوطن العربي، ثم زمن العولة والانفتاح الذي نعيشه، وكذلك الحركة الدائبة الفكرية والدعوات المعاصرة إلى تيارات الحداثة والتغريب، وضعف التعلق بالتراث العربي المتماسك إلى حد كبير، والافتتان بالغرب، والتنكر للغة الفصيحة، وضعف القرارات السياسية والتعليمية التي تكفل صيانتها في الوطن العربي، كل تلك الأمور وغيرها نحى اللغة العربية الأصيلة عن لغة التخاطب اليومي إلا من المخاطبات الرسمية، والمناهج التعليمية، والوعظ، والدراسات العلمية، والفنون الأدبية، وحل محل الفصيحة مئات اللهجات ونسطيع أن نجمل أهم عوامل ظهور اللهجات فيما يلي:

١. عامل مكاني جغرافي: مثل انعزال طائفة من متكلمي اللغة الأم نتيجة انفصال طبيعي بأنهار وجبال أو غيرها.
٢. عامل اجتماعي: كاختلاف التقاليد والعادات لمجموعة من الناس عن محيطهم.
٣. عامل ثقافي: فالتنوع الثقافي بين فئات مجتمعية قد يحول دون تحقق تواصل جيد فيسبب في عزل تلك الفئات.
٤. عامل ديني: فاختلاف الديانة مما قد يميز شعباً عن آخر بشدة، لاسيما إذا وقعت صراعات دينية.
٥. عامل سياسي: كاستقلال بلد عن آخر فتولد بذلك لغة جديدة حبا في الاستقلال والتميز.

٥،١ - خطورة اللحن وتشريع

اللهجة بديلاً عن الفصيحة :

واندفع العلماء بدءاً من عصور

بها حديثاً سليماً أمر مستبعد، ويكاد ذلك أن يكون محصوراً في المتخصصين والأكاديميين، فيتحدثونها حديثاً مجروحاً يُقْبَل على علاقته، ولا يكاد يوجد المتحدث السليقي باللغة الفصحى إلا فيما ندر، وهذا نذير ضياع، يقول ابن حزم: "إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم" (٨).

إن خطورة تضييع الفصحى يكاد أن يتفق عليه الجميع إلا من وجد في نفسه عليها، كرها في ميراثها العظيم، أو فيما تتحلى به من قيمة دينية أو تاريخية عظيمة. ناهيك عن رغبة بعضهم في تضييع فرض اتحاد الأمة واتصالها وقد تشرذمت ودبت في أوصالها مظاهر الضعف مذ بُذرت في أرضها بذور الفتن والعصبيات، ويكاد الدين واللغة أن يكونا أهم الروابط التي يمكن أن يُعتمد بها ويُعتمد عليها كطريق إلى التقاء العرب من جديد في حاضنة ثقافية ومظلة عز وقوة.

٨،١ - ما تتميز به الفصحى عن

لهجاتها وعن اللغات الأخرى:

اختلف العلماء وتباينوا بين معتدل ومتعصب للغة العربية، فمنهم من جعلها أفضل اللغات وأوسعها، وأن الله اختارها لخصائصها، ومنهم من اعتدل في ذلك، وسوف أسرد هنا بعض تلك الخصائص الثابتة لها:

١. تشريفها بنزول القرآن بها.
٢. وجودها بين أقوام على درجة عالية من الحرص عليها، فتناقلوها رواية دون

للفصحى، بل تزيد المشكلة تعقيداً؛ فالعامية ترسخ التفرق، وتكرّس الجهل؛ لعدم وفائها بمتطلبات العلم، وتميُّع الذوق؛ للهوة الكبيرة بينها وبين الفصحى في تنوع الأساليب والتراكيب، وغير ذلك كثير مما رصده العلماء في باب خطورة تضييع الفصحى.

٦،١ - التريص بالفصحى:

إن اللهجات لم تنتج عن نية خبيثة، ولا بقصد تضييع الفصحى، لكنها ظهرت -مثل كل اللغات- في ظل عوامل الظهور والتطور الطبيعية، ولم يكن أحد يدعو إلى استخدامها بديلاً عن الفصحى، لكن في القرون الأخيرة ظهرت دعوات قوية إلى التخلي عن الفصحى لاسيما من المحتل الأجنبي للدول العربية إمعاناً في إضعاف الأمة، ومن العجب أن يتبع تلك الدعوات طائفة من أبناء العربية، ينعتون أنفسهم بالمتقنين، بحجة التيسير.

وطول فترة الاحتلال يفسر التأثير الشديد بلغة المحتل في بعض بلاد المغرب العربي؛ إذ (قام بهذه الدعوة الأثيمة منذ العشرينيات بعض الرهبان الفرنسيين المسمين بالأبباء البيض، كالأب "فوكا" والأب "سلام" فضلاً عن عدد من المستشرقين أمثال "ماسينيون" و"كولون" و"فيرساي") (٧).

٧،١ - مخاطر تضييع الفصحى:

كثيراً ما تتردد مقولة: (إذا أردت أن تدمر دولة فابدأ بلغتها)، وإن الهوة تكاد تكون واسعة بين العربي ولغته لاسيما المنطوقة منها، فإذا كان باستطاعة المتعلمين أن يقرؤوها ويكتبوها فإن التحدث

التأليف والتدوين إلى رصد كل ما يخترق القاعدة فاهتموا باللحن كما اهتموا بالفصحى، ذكر الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين وابن الأثير في النهاية: "عن عمر أنه قال: تعلموا الفرائض والسنة واللحن كما تعلمون القرآن" وذكر الزبيدي أيضاً عن أبيان بن عثمان قال: اللحن في الرجل الثري كالتغيير في الثوب الجديد، وعن ابن شبرمة: إن الرجل ليلحن وعليه النخ الأذن فكان عليه أخلاقاً" (٥)، ومن الكتب التي اهتمت باللحن: ما تلحن به العوام للكسائي (ت١٨٩هـ)، لحن العامة لأبي عبيدة (ت٢٠٩هـ)، لحن العامة لأبي حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ)، ما تلحن به العوام لثعلب (ت٢٩١هـ)، لحن الخاصة لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) وغيرها كثير.

وقد رُصدت بعض حوادث اللحن في عصر النبوة، ثم في عصر الخلفاء الراشدين، ثم اتسعت الظاهرة في العصر الأموي بسبب اتساع الرقعة الإسلامية والفتوحات، ووفود العجم، وقد ذكر السيوطي أن "أول ما اختل من كلام العرب وأحوج إلى التعلم الإعراب، لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد روي أن رجلاً لحن بحضرته فقال: (أُرشدوا أخاكم فقد ضل)، وقد كان اللحن معروفاً، بل قد روي أن من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأني لي اللحن)" (٦).

ومنشأ خطورة احتلال العامية مكان الفصحى هو ما يتعلق بهذه اللغة من قيم دينية واجتماعية وثقافية وذاتية وسياسية، ومع ذلك لن تكون العامية بديلاً صحياً

- تحريف.
٣. بُعد بيئتها عن التأثر باللغات المجاورة مما ضمن لها النقاء والصفاء.
٤. قدمها وطول فترتها الزمنية - لما يزيد عن ألفي عام مما ضمن لها المهابة والتوقير والتقدير أحيانا.
٥. قدرتها الصوتية؛ إذ اشتملت على معظم الأصوات التي يمكن للجهاز النطقي أن يلفظها.
٦. توزع أصواتها على مخارجها توزعا متساويا، وذلك في عدد محصور من الحروف.
٧. انتقال معنى الكلمة بمجرد تغيير حركات أصلها مثل: كَسْر، كُسْر، كَسْر.
٨. ثبات أصواتها وحروفها على مر العصور مما يمنح متكلميها القدرة على الاتصال والتواصل بين الأجيال.
٩. ضعف أثر اللهجات للبنية الصوتية لها، فالتغيير محدود يكاد ينحصر في الحروف اللثوية، والقاف، والطاء.
١٠. قيمة حروفها التعبيرية؛ فاشترك الكلمات في بعض حروفها الأصلية يفيد - أحيانا - اشتراكها في المعنى.
١١. إعرابها، وهي اللغة الوحيدة التي حافظت على الإعراب من اللغات السامية.
١٢. تنوعها البنوي والتركيب على مستوى الجمل والأساليب، وطواعيتها لإعادة الصياغة والترتيب.
١٣. أخذها بخاصية الاشتقاق والتوليد، وتتميز بهما عن اللغات الإلصاقية والجامدة.
١٤. قدرة مفرداتها على محاكاة أصوات الطبيعة، بما يسمى العلاقة الطبيعية
٢٦. الترادف: وهو تعدد اللفظ للمعنى الواحد، فألفت كتب كاملة في أسماء الخيل والإبل وغيرها.
٢٧. التعويض: وهو قدرتها على إقامة الكلمة مقام غيرها، مثل قيام المصدر مقام الأمر، والفاعل مقام المصدر.
٢٨. المشترك اللفظي: بأن يكون للفظ أكثر من معنى، مثل كلمة الساعة، العين، النهر.
٢٩. الأضداد: بأن يطلق اللفظ على المعنى وضده، مثل المولى، الجلل، الصارخ، البين.
- وغير ذلك من الخصائص التي ذكرها المختصون في مئات الصفحات من كتبهم (٩).
- ٢-المبحث الثاني: علاقة اللغة العربية الفصحى باللهجات وأثر كل منهما في الآخر.
- ١-٢- الفرق بين الكلام واللغة واللهجة.
- ١،١،٢- الفرق بين اللغة والكلام (١٠)
- الفرق بين اللغة والكلام من الأبواب المعروفة عند اللغويين القدامى واللسانيين المعاصرين، وهي ثنائية معروفة من ثنائيات السويسري فردنالد دوسويسير. "فيؤكد سويسير على عدم الخلط بين قدرة الإنسان العضلية على الكلام من خلال أعضاء النطق وبين الملكة الذهنية التي يمتلكها لتشييد نسق لغوي" (١١)، فالكلام هو قدرة الإنسان العضلية على إنتاج الأصوات، أما اللغة فهي الملكة الموجودة في الذهن الجمعي لبناء نسق لغوي في مجتمع
- بين الكلمة ومعناها.
١٥. أخذها بخاصية النحت مثل الحوقلة والبسمة.
١٦. قدرتها على التعريب وتطويع الألفاظ الأجنبية عن طريق التحريف الصوتي أو الصريفي أو الدلالي.
١٧. اتساع قدرتها التعبيرية على مستوى الأصوات والمفردات والتراكيب.
١٨. توسعها في المجاز، فذكر السيوطي وغيره أنها أكثر اللغات اتساعا في الاستعارة والتمثيل.
١٩. تركها الجمع بين الساكنين، وفي غيرها قد يجتمع ثلاثة سواكن.
٢٠. ميلها إلى الاختصار والتكثيف وقصر الجملة والتخفيف بالحذف.
٢١. قدرتها الواقعية على استيعاب علوم العصر ومعارفه استنادا إلى الواقع التاريخي الكبير، والتجارب الحديثة.
٢٢. ثراؤها؛ فهي تزيد بأبنيتها المستعملة والمهمله عن اثني عشر مليون تركيب كما ذكر الخليل.
٢٣. سهولتها: فلا حاجة لتعلمها أن يكون عالما بأسرارها وجميع جوانبها، فهي هجائية في كتابتها فيسهل إملؤها ولفظها، والجوازات فيها للتيسير لا للتعقيد، وهي تقتصر في أفعالها على تصاريف ثلاثة.
٢٤. قلة المستعمل منها مما يدل على سهولة تعلمها واطراد قواعدها، فيرى باحثون أن المستعمل منها لا يتجاوز ثمانية آلاف كلمة، ومنهم من جعله لا يكاد يجاوز ثمانين ألفا.
٢٥. خصائصها الجمالية الواسعة كالتحسين المتعلق بأحكام التجويد والمتعلق بالبلاغة والعروض والخط.

اللغة الأم.

اللهجة لغة هي اللسان: "يَقَالُ: فَلَانَ فَصِيحُ اللَّهْجَةِ، وَهِيَ لُغَتُهُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا فَاعْتَادَهَا وَنَشَأَ عَلَيْهَا" (١٤).

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: "طريقة من طرق الأداء في اللغة، تتميز بها طبقة أو فئة اجتماعية عن أخرى لهجة التُّجَّار- لَهْجَةُ قَرْوِيَّةٌ/ مَصْرِيَّةٌ، وهي لغة محلّية تختلف عن اللغة الفصحى من حيث اللَّفْظ والقواعد والمفردات" (١٥).

وإذا وُصفت اللهجات بأنها لغات فيكون من باب إطلاق العام على الخاص، فيقال وقتئذٍ: لغة المصريين والعراقيين والمغاربة، ولغة التجارين والتجار، وقد اعتاد العرب أن يطلقوا عليها مصطلح (اللغة) قديماً، فيقال: لغة تميم، ولغة هذيل، وقد تمثل اللهجة مجتمعا كاملا، وقد تمثل جماعة ضمن هذا المجتمع جمعتهم ظروف خاصة بهم كحرفة أو وظيفة أو جنس أو لون أو عمر أو غير ذلك، ومنها أيضا لغة الأشقياء، والمجرمين، بل يمكن أن يكون للفرد الواحد لغة خاصة به عند غضبه وأخرى عند فرحه، فيما يسميه البعض اللغات الخاصة، وسماها آخرون (عامية خاصة)، والأفضل أن يطلق على كل ذلك لهجات لتمييزها عن اللغة المعينة. وقد تكون اللهجة نتيجة خطأ أو تحريف أو تصحيف أو تشويه صوتي أو نحوي أو صرفي، فيما كان يسميه الفصحاء العرب: اللحن. ثم يضاف إلى كل ذلك الأنفاظ الدخيلة، كل ذلك يحكمه البعد المكاني بين طوائف أبناء اللغة المعينة، وذلك يمكن تمييزه بسهولة شديدة نتيجة البعد الواضح بين اللهجات المختلفة صرفا ونحوا وصوتا ودلالة، فالسامع يستطيع -

الفردية "La Parale" (١٢).

اللغة إذن نظام عام، أو قانون عام، واللغة المعينة هي طريقة نقل هذا النظام من شكله التجريدي الافتراضي إلى شكل واقعي في ظل تجمّع بشري يتفق على مواضع معينة، فهي الطريقة المخصصة في الأداء اللغوي ويشارك فيها المتكلمون بحكم نطاق جغرافي واحد، وههنا تبرز أهمية المجتمع في نشأة سلوك الفرد اللغوي.

وإن اللغة المعينة لغة أصيلة متفق عليها مكانيا وزمانيا، وإذا وُصفت اللغة بأنها الاستعدادات الفطرية، وأن اللغة المعينة هي اللغة الأصلية المتفق عليها مكانيا وزمانيا، فإنني أحب أن أسمى كل لغة دونها لهجة، فاللهجة إذن لغة خاصة، ترتبط ارتباطا وثيقا بالدور الاجتماعي والمكاني، مثلها مثل اللغة المعينة، لكنها تعد اختراقا للضوابط التي اتفقت عليه الجماعة اللغوية في اللغة المعينة الأصلية.

٢،١،٣- الفرق بين اللغة المعينة (الأصيلة) واللهجة :

ذكرت آنفا أن اللهجة هي كل ما دون اللغة العامة واللغة المعينة الأصلية، ولا شك في أن اللغة المعينة يقررها المجتمع من خلال الوضع والاستعمال، والوضع بمفهومه الاعتيادي لا تفسره علاقة منطقية ولا تحكمه ضوابط قياسية، أما الاستعمال فيخضع لأصول تخاطبية إجرائية، وقد عرف العرب الوضع والاستعمال، وهو ما عرف في اللسانيات الحديثة بعلمي الدلالة والتخاطب، وكذلك اللهجة تخضع لمفهوم الوضع والاستعمال لكنها تستقل ببعض خصائصها بفعل الحدود الجغرافية عن

معين يتفق على إعطاء الأصوات قيما ومفاهيم ودلالات ثم استعمالها والتخاطب بها، وهو ما كان عند قدمائنا يسمى الوضع والاستعمال، ويمكن أن تقسم اللغة قسمين: عامة ومعنية أي خاصة، فاللغة مخزون، والكلام لا يعدو كونه عملية قياس: "لأن كل إبداع من قبل المتكلم لابد أن يسبق بمقارنة غير واعية (لا شعورية) بين المواد المخزونة في كنز اللغة" (١٢)، واللغة هي القواعد والقوانين ونظام العلامات التي وفقها يكون الكلام.

واللغة مكتسبة لا توقيفية لذلك نرى هذا الشتات الكبير والتنوع الملفت للغات البشرية، وذلك لا يمكن أن يعد ظاهرة سلبية بل أراها صحية تماما؛ إذ ترفد الثقافات بمصادر ثراء، وتفتح آفاقها على ساحات المعرفة والفكر.

٢،١،٢- الفرق بين اللغة واللغة المعينة :

اللغة البشرية هي ملكة مودعة في الإنسان، فهي ظاهرة عامة يشترك فيها الجنس البشري كله، لكن لكل شعب أو لكل مجموعة بشرية متجاورة مكانيا لغة خاصة بهم، اصطلاح على تسميتها "اللغة المعينة"، كاللغة العربية والإنجليزية والفرنسية وغيرها. وقد سماها القرآن الكريم (اللسان) فقال: (وهذا لسان عربي مبين) (النحل: ١٠٢)، وفي اللسانيات الحديثة "يفرق دي سوسور بين اصطلاحات الثلاثة: ١- اللغة: بالمعنى الأعم أي بمعنى الظاهرة الاجتماعية "Le Langage" ٢- اللغة المعينة" وهي التي تتخذ موضوعا للدراسة كالعربية "La Langne" ٣- الكلام: وهو النشاط العضلي الصوتي

ربما من جملة واحدة- أن يعرف إن كان المتكلم خليجياً أو مصرياً أو مغربياً. وقد قامت دعاوى كثيرة تروج لإحلال العاميات محل الفصيحة وكان الإنجليز والفرنسيون أول من جاهد في سبيل ذلك؛ فقد "شن الإنجليز حملة شعواء على اللغة العربية الفصحى، وحاولوا أن يقتنعوا المصريين بأن سبب تأخرهم في ميدان الحياة. وتخلّفهم عن الأوربيين في الابتكار الأدبي والعلمي يرجع إلى تمسكهم بلغة القرآن، وأن الأولى لهم أن ينهضوا باللغة العامية حتى يسايروا ركب الحضارة" (١٦).

١،٢-٤- الفرق بين اللغة المشتركة واللهجة :

اللغة المشتركة هي اتفاق بين مجموعة من أصحاب لهجات متقاربة على اعتماد لهجة معينة مشتركة لتكون أداة تواصل بين أفراد هذه اللهجات، وقد تكون مزيجاً من هذه اللهجات، فتشحن بأثارها جميعاً، وقد تكون لهجة واحدة قد تسلطت على غيرها لأسباب اجتماعية أو دينية أو سياسية أو اقتصادية، وقد تساعد هذه اللهجة المشتركة المتفق عليها على إلغاء الحدود الجغرافية بين اللهجات المختلفة فتصبح لغة معينة، وقد لا تلغي بقية اللهجات حسب مقدار اعتزاز كل جماعة بلهجتها، وغالباً ما تكون هذه اللغة المشتركة لغة الأدب والخطابة والعلم والثقافة، وعلى الرغم من أن بعض الباحثين ينفون وجود لغة مشتركة للعرب قديماً إلا أن المتفق عليه من رأي جمهور اللغويين أن لهجة قريش كانت اللغة المشتركة المختارة.

وهذا السلوك اللغوي ثابت تاريخياً

وانسانياً، فمثلاً اللهجات اليونانية أخذت في وقت من الأوقات "تدمج بعضها في بعض لتكون اللغة المشتركة كلما أريد الكتابة بإحدى اللهجات الخالصة" (١٧)، وعلى هذا المنوال يمكن لنا أن نفهم الدور الذي قامت به لهجة قريش، وكونها أصبحت اللغة المشتركة للعرب، وقد كانت (لغة المدينة) بمكة التي يحتاجها التجار والحجاج، في مقابل لهجات البدو الرحل والقرى النائية.

فاللغة المشتركة في العربية هي لهجة فصيحة اختيرت لعامل المدينة وعوامل أخرى خارجية لتكون لغة مشتركة، ولا تتعارض فصاحتها مع فصاحة بقية اللهجات، فكل اللهجات فصيحة يُنتج بها، ويمكن إثباتها، ومن هنا يأتي الاختلاف الواضح بينها وبين اللهجة البيضاء، فالأخيرة لا يمكن جعلها لغة عربية مشتركة لأن اللغة المشتركة هي اللغة العربية الفصيحة، ولكن يمكن أن نقول إنها لهجة مشتركة.

إن الدعوة إلى لغة مشتركة تحل محل الفصيحة بحجة التسهيل دعوة هدم؛ إذ تتخللها دعوات أخرى تسقط أبواباً من النحو، ككنايب الفاعل، واسم كان، والإعراب، وغيرهما، وألبست هذه الدعوات على المثقفين بحجة تسهيل اللغة العربية الفصيحة التي لم يعد العرب يفهمونها.

٢-٢- أثر اللهجات في اللغة العربية الفصيحة :

١،٢،٢- أهمية اللهجات ودراساتها : هل اللهجات ظاهرة نافعة للغة أم غير نافعة؟ وهل يمكن أن تكون مثالا على التنوع

والثراء، وظاهرة صحية تثري اللسان، وعاملاً مساعداً في فهم التطور اللغوي؟ أم أنها ظاهرة سلبية، وأداة خطيرة على الهوية والتاريخ، وتزيد من عزلة اللغة العربية الفصيحة؟

إن الإغراق في الميل لاستخدام اللهجات المحلية يزيد بها بعداً عن اللغة الأم، وقد يؤدي إلى نشأة لغة جديدة لا ترتبط بأمرها إلا من بعض الظواهر الصوتية أو المعجمية أو التاريخية، ولا يمكن لدارس أن ينفي العلاقة الطبيعية بين اللغة الأم ولهجاتها؛ أو بين لهجة وغيرها، وإن اللهجات تثري اللغة الأم وتقيدها، ولكنها أيضاً يمكن أن تضرها، ومع ذلك فإن اللهجات تمثل قيمة تاريخية وإنسانية مهمة، تدعونا إلى دراستها، وهو الأمر الذي فطن إليه اللغويون المستشرقون والعرب.

لاشك أن دراسة اللهجات العربية بمفهوما الحديث أو ما سمي "الديالكتولوجيا" نشأت على يد المستشرقين قبيل مطلع القرن العشرين، ثم بدأت دراسة اللهجات تشق طريقها إلى الدراسات الحديثة بفضل بعض علماء اللغة ومنهم "جاستون باريس" وهو أول فرنسي نادى بوجوب دراسة اللهجات الشعبية واللغات العامية" (١٨)، ثم انتقل الاهتمام بدراساتها إلى الجامعات العربية ومجامع اللغة، "وينطلق هؤلاء العلماء في اهتمامهم بدراسة اللهجات العربية الحديثة من اعتقادهم بأن ذلك سيؤدي إلى فهم طبيعة اللغة ومراحل نشوئها وتطورها وبيان تاريخها، ويسهم في دراسة اللهجات العربية القديمة، ... ويعتقد المحدثون أيضاً بأن دراسة اللهجات

المعددة مختارة من لهجات العرب ما هو أسهل.

٢٠٢٢- هل يمكن تطوير اللهجات لتصبح أكثر نفعاً للفصحى؟

انشغل كثير من اللغويين بمحاولة التقريب بين العامية والفصحى، ومحاولة ردّ كثير من الألفاظ العامية إلى أصل لغوي، كما وُضعت بعض المعاجم بهدف الكشف عن جواز استعمال معين لمفردة يُعتقد أنها عامية بالرجوع إلى الاستعمال القديم، وأذكر هنا مثالين لجهد كبير في تنقية الألفاظ الشائعة؛ لدعم وإثراء اللغة العربية الفصحى، بدلا من إقصاء كل استخدام قد يكون له أصل في اللغة، وهو مما قد يضر ولا ينفع، هذان الكتابان هما: معجم الصواب اللغوي، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، وهما للغوي أحمد مختار عمر بمساعدة باحثين، وهي من الأعمال التي أظن أنها خطوة ناجحة على الطريق الصحيحة التي تراعي المعاصرة مع الثبات على الأصول.

إن رصد الاستعمال الصحيح لكلمات لها أصل في العربية بعد التثبت من إمكانية قبول هذا الاستعمال، وعدم خرقه لقوانين اللغة المتعارف عليها يؤكد لنا أن اللهجات قد تثري العربية الفصحى عن طريق المساعدة في تطور دلالة الكلمات أو تعددها، وبذلك يمكن تطويرها لخدمة اللغة العربية الفصحى.

٣- المبحث الثالث: اللهجة

البيضاء، المفهوم والمصطلح:

١،٣- مفهوم اللهجة البيضاء:

اللهجة البيضاء لغة: هي الواضحة

العناية بمعرفة هذه الألفاظ ومعانيها قد تعين على وضع كثير من المعاني والألفاظ موضعها الصحيح الأوفق، فضلا عن أن اللهجات لم تخرج عن أنها جزء من تاريخ اللغة وتطورها. ومن أراد أن يزيد رسوخا في اللغة فليس له أن يهمل أجزاء تاريخها، زد على هذا أن البلاد العربية قد تعددت لهجاتها لدرجة الصعوبة في التفاهم أحيانا، وأنه من أمل مجمع اللغة المصري أن يكون لمصر مركز ممتاز بين البلاد العربية لتوحيد الأدوات والأساليب في التخاطب والكتابة والتفاهم بلغة مشتركة فصحة رقيقة فمن حقه إذن أن يعنى بلهجات البلاد العربية المختلفة، وذلك لدفع تلك اللهجات إلى لغة سليمة فصحة توحد بين الجميع في الكتابة والتخاطب" (٢٢)

ومن هنا ظهرت دعوات كثيرة لعمل أطلس لغوي عربي، ومعاجم تاريخية وأرجعوا أهميتها إلى (٢٣):

١- اكتشاف خصائص اللهجات الصوتية والبنوية والدلالية والتركيبية، والتغيرات التي تطرأ عليها.

٢- إثراء العربية الفصحى بكتابة تاريخها في عصورها المختلفة، ومعرفة أقرب اللهجات العربية صلة بها.

٣- معرفة مدى امتداد اللهجات العربية القديمة، ويفسر لنا النصوص المتبورة عن هذه اللهجات.

٤- إتاحة الدراسة المقارنة بين اللهجات واللغة الفصحى وبين اللغات السامية المختلفة.

وقد استفادت الفصحى من لهجاتها من مفردات وأساليب وطرق تعبير ساعدتها على التخلي عن بعض قواعدها

الحديثة والتعرف على خصائصها المشتركة يساعد على تقريب المسافة فيما بينهما، وتضييق الفجوة بينها وبين الفصحى، وهذا كله له فائدته الكبيرة في تعميق التفاهم بين أبناء الأمة العربية" (١٩)

ويكاد أن يتفق اللغويون على أن "التوسع في دراسة سائر اللهجات العربية يزيد لغتنا ثروة، ويمنحها قوة، ويضرب كثيرا من خصائصها التي لم تتفرد بها لهجة، بل أسهمت في تكوينها هذه اللهجات قاطبة" (٢٠).

ولم تتوقف الاستفادة من دراسة اللهجات عند اكتشاف خصائصها وتفسير تلك الخصائص، واستثمار ذلك في خدمة الفصحى، ولكن يتعدى نفعها لمستويات غير لغوية، فهي "تفيد المؤرخين وعلماء النفس والاجتماع، على حد سواء، ويمكن لذلك أن يستعان بالأطلس اللغوية على هذه الدراسات التاريخية والنفسية والاجتماعية على أساس أمث وأشمل. وفي هذا يقول يود Jud وهو أستاذ سويسري متخصص في اللغات الرومانية وهي: الفرنسية والإسبانية والإيطالية: "من المستحيل أن يكتب تاريخ صحيح للشعب الفرنسي أو الإيطالي أو الإسباني، إلا إذا عرفت اللغات المحلية في تلك البلاد، ودرست دراسة عميقة" (٢١).

وقد وجدت دراسة اللهجات من يقف ضدها، ويحاول بيان خطورتها، وهناك من قائلًا: "أما اللهجات فتعلم أن دراستها قد تعين على معرفة معنى الكلمة على وجهها الصحيح. فغير قليل من الكلمات قد تستخدم من ناحية أو في عدة نواح من البلاد العربية لمعنى من المعاني، وإن

المفهومة، جاء في لسان العرب: "كَلَامٌ أَيْبُصٌ: مَشْرُوحٌ، وَالْيَدُ الْبَيْضَاءُ: الْحُجَّةُ الْمُبْرَهَنَةُ"، "وَأَرْضٌ بَيْضَاءٌ: مَلْسَاءٌ لَا نَبَاتَ فِيهَا"، "قَالَتِ الْعَرَبُ فَلَانَ أَيْبُصٌ وَقَلَانَةٌ بَيْضَاءٌ فَالْمَعْنَى نَقَاءُ الْعَرِضِ مِنَ الدَّنَسِ وَالْعَيْبِيبِ" (٢٤).

ففي كلام العرب الذي ذكره ابن منظور وغيره ما يربط بين وصف اللهجة بكلمة البيضاء دلاليًا وبين أصلها اللغوي ربطًا واضحًا، فالمتقصد بوصف اللهجة بالبيضاء أن تكون واضحة مفهومة ليس فيها غامض ولا مجهول، وهي كذلك في كلام العرب، فالكلام الأبيض هو المشروح أي الواضح الذي لا يحتاج تفسيرًا، والأرض البيضاء هي الخالية فلا تخفى شيئًا غامضًا، وفلانة بيضاء أي نقية من الدنس والعيوب، وكذلك اللهجة البيضاء نقية من الغريب، خالية من المجهول، واضحة لا تحتاج شرحًا، بسيطة مفهومة لجميع العرب بأطرافهم وثقافتهم وطبقاتهم المختلفة.

وغير بعيد من ذلك الدلالة الشرعية للكلمة؛ ففي الحديث الشريف عن العراب بن سارية أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لِيُطَهَّرَ كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ" (٢٥). قال السندي: "على البيضاء، أي: الملة والحجة الواضحة التي لا تقبل الشبهة" (٢٦)، وإن الغاية من اللغة هي التواصل والإبلاغ والإبانة، لذلك وُصف القرآن الكريم بأنه مبين، أي يبين عن القصد بأقرب طريق، وكان من سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يعيد الكلام أكثر من مرة ليفهمه الناس، فقصده الإفهام مطلوب في التخاطب اللغوي.

نستطيع أن نقول: إن اللهجة البيضاء هي اللهجة العربية الوسطى لا المحكية التي تعول على انتقاء المفردات المشتركة المفهومة في كل اللهجات، وتقع في مرحلة وسطى بين الفصيحة واللهجات بأنواعها، وليس لها حدود جغرافية. وهي مؤهلة لأن يعتمد عليها في التواصل بين العرب جميعًا، يفهمها المتخصصون وغيرهم، والمتقنون والعامّة، وتصلح لأن تكون لغة الحديث في المحافل والتجمعات والمؤتمرات والثقافة والإعلام والتعليم وبرامج التواصل والترجمة الفورية وتعليم اللغة للناطقين بغيرها. وهي تتخلى عن الألفاظ غير المفهومة للعامّة من اللغة الفصحى، لتحل محلها ألفاظ مفهومة لها أصل فصيح.

وكما أن للهجة البيضاء فوائد تجعلنا نسعى إلى ترويجها بضوابط وشروط لاسيما في الصحافة والكتابة غير الأدبية. ويمكن أيضا أن يتحدث بها بضوابط في الجامعات المتخصصة في اللغة العربية، وفي حصص اللغة العربية في المدارس والمعاهد التعليمية فإنه مما لا شك فيه أن لها آثارا ضارة، يمكن الحد منها بتقبل اللغويين فكرة هذه اللهجة ورعايتها وضبطها بضوابط تقلل هذه الآثار الضارة.

٢٠٣ - نشأة المصطلح وحضوره

١٠٢٣ - نشأة المصطلح:

إن مصطلح اللهجة البيضاء بمعناه موجود في التراث؛ لاسيما بعد تقبل النقاد واللغويين للتجديد والبديع، وبعد حركة المولدين، أما المصطلح بلفظه فما نكاد نجد له أثرا في الدراسات اللغوية القديمة ولا الجديدة -إلا من بعض المقالات والأخبار واللقاءات-، بل إنني لم

أجد دراسة واحدة، ولا مقالا علميا يدرس تلك الظاهرة بهذا الاسم، وما سبق من دراسات وأفكار كانت تدور في أكثرها حول فكرة تيسير اللغة العربية الفصيحة، أو الاتفاق على لغة مشتركة عربية واحدة، هي أقرب إلى لغة المثقفين أو الصحافة، ولكنني أرى أن اللهجة البيضاء تختلف كثيرا عن هذا التناول الذي سبق من وجوه عدة، تتضح جليا عندما أفصل ضوابطها وخصائصها.

لقد دعي كثيرا إلى استخدام اللهجات بديلا للغة العربية، وظهرت دعوات أخرى لتيسير الفصيحة بالاستغناء عن بعض قواعدها، وهناك دعوات أخرى صادقة اتصفت بالموضوعية وطلبت بتسهيل لغة الخطاب الأدبي.

فالدعوة إلى لغة مشتركة مطروحة، لكن دراستي هذه تمتاز عن تلك الدعوات ببعض الضوابط، أهمها:

- أنظر إلى اللهجة البيضاء على أنها لهجة لا لغة فصيحة.
- أنظر إليها على أنها مرحلية لا دائمة.
- أرى أنها تصلح لأن يتحدث بها فلا تكتب إلا بضوابط.
- أرى أن لا يكتب بها بوصفها لغة أدبية قط.

- ولا يتحدث بها المتخصصون والعلماء والخطباء وأولو الهمم، فالالتزام الإعراب والفصحى أولى بهم.

- أضع لها ضوابط ترتفع بها قليلا عن نظرة من يتحدثون عنها، لاسيما في الإعراب، والتعبير الجمالي.

- محاولة الحد من سلبياتها التي يمكن أن يدور الجدل حولها.

لهذه الأسباب وغيرها فإنني أظن أن

وتكر الأهل.

وانطلاقاً من ذلك رأيت أن اللهجة البيضاء ليست لغة مشتركة، وكذلك ليست لهجة خاصة، ولكنها لهجة مشتركة، ورأيت أن اقترابها من اللغة الفصيحة يعطي فرصة للارتقاء - ولو خطوة - نحو الفصحى، لأسباب أهمها:

- أنها مستمدة من لغة معينة أعم منها.
- أنها مفهومة لجميع الطبقات الاجتماعية، وجميع المجتمعات العربية.
- أنها تحقق التواصل الناجح بين فئات المجتمعات العربية المختلفة.
- أنها تتخلى عن بعض التعقيدات اللغوية، وتقرط في بعض شروطها وضوابطها، وتميل إلى السهولة.

٤،٣ - كيف يمكن تبييض الألفاظ؟

إذا قيل: إن اللهجة البيضاء هي الواضحة، فيمكن أن نستنتج أن اللهجات غير واضحة للجميع، وهذه النتيجة يمكن قبولها نوعاً ما؛ فاللهجة الواضحة لاجتماع أو جماعة قد تكون غريبة على غيرها.

وان تبييض الألفاظ هو تطبيق عملي لقدرة المتكلم على اختيار ألفاظه، فيستغني عن الخطأ والضعيف والغريب والأجنبي ويجد لكل ذلك البديل العربي المعروف والمشهور والمفهوم للجميع.

إن مهارة الاختيار تعد من المهارات اللغوية المهمة جداً لاسيما في الدراسات اللسانية والأسلوبية الحديثة، وإن الشعراء قديماً وحديثاً انشغلوا بتقني قصائدهم عن طريق محوري الاختيار والتوزيع، فالاختيار هو اعتماد كلمة واحدة من احتمالات كثيرة من مترادفاتهما، والتوزيع هو وضع هذه الكلمة في مكان مناسب في

لها، إما لخطورتها على اللهجات التي يعتزون بها- وهؤلاء هم الأكثر-، وإما لخطورتها على الفصيحة -وهؤلاء قلة-، أما مؤيدو الفكرة فأراهم أكثر ممن لم تعجبهم فكرتها، ولم تقع يدي على دراسة لأحد اللغويين أو المتخصصين يرفض هذا الأسلوب التخاطبي؛ بل إنني لاحظت أن اللغويين المتخصصين يتحدثونها في جميع لقاءاتهم المصورة.

٣،٣- تصنيف اللهجة البيضاء:

لا يمكن أن نعد هذه الطريقة في الأداء لغة معينة، وإن تسمية اللغة البيضاء من باب الخطأ؛ أو التجاوز؛ لأنها لم يُتفق فيها على مواضع لغوية معينة تقوم بنظام لغوي خاص ومتكامل يعبر عن جميع حالات الإنسان الفكرية والعاطفية وغيرها، ولكنها جزء من لغة أعم، استمدت منها معظم تعبيراتها، وحافظت عليها، ولكنها -بحكم عوامل معينة سبق ذكرها- تميزت عن بقية جيرانها من اللهجات الخاصة بالانقضاء والوضوح.

وكذلك ليس من الممكن أن تكون اللهجة البيضاء لغة عربية مشتركة، وأرى أن ذلك من الخطر العظيم على اللغة العربية الفصيحة، فليس ثمة لغة مشتركة للعرب غير الفصيحة القرشية، والسبب هو ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم، ولا يحل للعرب أن يجعلوا لهم لهجة خاصة بديلاً عن اللغة العربية، فاقتران العرب بلغتهم له خصوصية تفرد عن غيرهم، ومع أن هناك لغات حوصرت وأصبحت دينية فقط، إلا أن العربية تنأى قليلاً عن هذا الاحتمال أيضاً بسبب حيويتها وأن جميع العرب يفهمونها مع طول الفترة

هذه الدراسة لها قيمتها إضافة إلى كونها لم تسبق بدراسة موثقة متمكنة.

٢،٢،٣ - حضور المصطلح:

إن إطلاق هذا المصطلح على مفهومه مناسب جداً، بل إن ابن منظور صرح به فقال في "لسان العرب": "وَكَلَامٌ أَيْبُصٌ: مَشْرُوحٌ"، وليس من المجدي نفعاً تعدد المصطلحات العلمية الدالة على شيء واحد؛ فإن الاسم لا يغير المفهوم، كما أن مصطلح اللهجة البيضاء -فضلاً عن صلته بأصله اللغوي- فإن له حضوراً في الوسط الثقافي، وجمالاً لفظياً يغري باعتماده مصطلحاً لمفهوم اللهجة المشتركة.

وقد رحلت أبحاث عن وجود المصطلح بهذه الدلالة قديماً فلم أجد -كما أشرت- ولكنني وجدته في بعض المنشورات الورقية الصحفية بقلة شديدة، وكذلك في بعض المنشورات الالكترونية على مواقع التواصل الاجتماعي مثل، (فيسبوك face book، و تويتير tweeter)، ويصعب إحصاء مدى انتشار هذا المصطلح في محركات البحث على شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) ولكن البحث على محرك البحث google أظهر ما يزيد عن خمسمئة نتيجة لكل من "اللهجة البيضاء" و"اللغة البيضاء" بما في ذلك النتائج على مواقع التواصل المختلفة، وقد جاء أكثرها في موقع (تويتير) للتواصل الاجتماعي، في شكل تعليقات سريعة يغرد بها المغردون، كما أن هناك بعض اللقاءات المصورة والبرامج القليلة جداً حولها، إلا أن معظم من طرح هذا المصطلح في منشوراته كان يقصد بها اللهجة الواضحة المفهومة، وهم بين مؤيدين ومعارضين

التركيب.

فيمكن أن نستبدل كلمة "ملعقة": بكلمة "خاشوقة" في اللهجة الإماراتية، ومن الأولى استعمال الفعل "بكى" بديلاً عن "عبط" في اللهجة المصرية لتعدد دلالات الأخير، فهو يعني صاح في الخليج، ونادى أو صرخ في الشام وهاتفه واتصل به في الجزائر، لكننا قد نجد أنفسنا مضطرين إلى استخدام كلمة (ماوس) بدلاً من الكلمة العربية (فأرة) لاختلاطها بالحيوان المعروف، ومثلها كلمات أجنبية أخرى أصبح لفظها أبيض بالمقارنة بلفظها الفصحح الذي غالباً ما يكون تعريفاً لا تعريفاً، فيقال: الأباجرة، هي المصباح الذي يوضع على المكتب القراءة أو بجوار السرير، ولو عرب إلى كلمة مصباح لما دل عليها، وغيرها مثل: الارتوازي، الاتيكيت وغيرها.

٥،٣ - ضوابط اللهجة البيضاء

وشروطها:

يمكن أن توضع ضوابط وشروط للهجة البيضاء حتى لا تمتع فنقترب من اللهجات، أو تعقد على أصحاب اللهجات فتتأى بهم عن الفصيحة، ولئلا يظن ظان أنها وسيلة هدم للفصيحة، وأهم هذه الشروط:

- أن تستخدم في التحدث لا الكتابة. فلا يكتب بلهجة تتخلى عن الإعراب، وتهمل عناصر الجمال، وتقتصر على ألفاظ بيضاء مفهومة، وإلا تسببنا في ضياع اللغة الفصيحة التي هي عماد الهوية العربية، ويمكن أن تستخدم عند الكتابة اللغة الفصيحة بدرجاتها المتفاوتة من ناحية الوضوح حسب نوع

النص والمتلقي.

- أن يكون الهدف منها أنياً متطوراً بهدف الارتقاء إلى الفصيحة.
- أن لا يستهدف بها الأطفال دون السادسة، فينبغي أن يخاطب هؤلاء باللسان الفصحح تماماً مع الالتزام بالإعراب؛ لاسيما في المؤسسة التعليمية؛ لأن اكتساب اللغة عندهم أمر تلقائي ميسور لا يحتاج إلى مشقة ولا إعمال عقل ولا تدبر وحذر من اللحن والخطأ فقدراتهم اللغوية التي أودعها الله فيهم تتكفل بالقيام بتلك الأدوار جميعاً. وبذلك نضمن تأسيس فطرة الأطفال على اللغة النقية الصحيحة، فينشأ عليها فلا يشغله بعد ذلك الحذر من الخطأ في الإعراب، وهي تجربة قام بها بعض المتخصصين.

٦،٣ - خصائص اللهجة البيضاء:

ليس الهدف هنا هو وضع قواعد هذه اللهجة، فهي ليست لغة معيارية منضبطة، ولكن الأصل هو رصد خصائصها من خلال مراقبة الحديث النقا في العربي والإعلامي الذي يشيع فيه استخدام اللهجة البيضاء، ويمكن أن أضيف بعض الخصائص التي أراها نافعة لضبط هذا المصطلح الجديد.

١- الوضوح: إذ يصل المتلقي إلى الهدف من الكلام من خلال دلالة البنية الظاهرية دون اللجوء إلى المسكوت عنه، والمعاني الكامنة في البنية الخفية للكلام، ومن هنا يهمل المتحدث كل كلمة لهجية غير واضحة للمتلقين.

٢- التحلي عن التعقيد اللغوي والجمود

القواعدي: فهي تميل لتبسيط القواعد، وأحياناً مخالفتها والخطأ فيها إذا كان استعمالها يحتاج إلى مزيد من إعمال العقل، مثل الخطأ في أحكام العدد والتوسع في توظيف الأدوات.

٢- تحقيق التواصل الناجح: فقد تستخدم اللفظة المعقدة إذا كانت واضحة، وتُتخلى عن السهولة إذا كانت غامضة، وقد تستخدم الأجنبية وتُتخلى عن العربية للهدف نفسه، فاللغة ليست هدفاً في ذاتها - مثل اللغة الأدبية الجمالية أحياناً- ولكن وظيفة اللغة في اللهجة البيضاء تقتصر على تحقيق التواصل الناجح.

٤- الميل للتسكين، والاستغناء عن العلامات الإعرابية إلا ما جاء سلساً تلقائياً: ويمكن مع مرور الوقت الالتزام بالإعراب جزئياً، لاسيما في بعض الكلمات والعبارات التي تأتي عفواً، وكذلك تراكيب المفعول المطلق والمتى وجمع المذكر السالم، وغير ذلك، وهناك من يلتزم بنسبة كبيرة بالإعراب كمذيعي الأخبار والبرامج الثقافية.

٥- إمكانية الخطأ في بعض القواعد النحوية، أو التساهل فيها.

٦- إمكانية الخطأ في البنية الصوتية للكلمة: فلا يُضم أول العلم (محمد)، ويكسر حروف المضارعة، ويفتح راء الفعل (يعرف) بعد أن يكسر ياءه، ونطق الناء سيناً، والطاء والذال زاياً، وغيرها.

٧- التوسع في الكلمات الدخيلة والمعربة وإن كان لها بديل فصيح: لاسيما إذا

سائحة لإمكانية تطويعها للارتقاء
للفصيحة.

١٢- إمكانية إحياء بعض الكلمات الفصيحة
المهجورة بنشرها على الألسن: فهناك
ظاهرة لغوية جديرة بالإشارة إليها
وهي أن هناك بعض الكلمات التي
يظن الناس أنها عامية وهي فصيحة
قديمة، ووجد كثير من الباحثين متعة
كبيرة في البحث في الكلمات التي
اشتهرت على ألسن العامة وهي من
الفصيحة، وكذلك البحث في صلات
اللهجات بالفصيحة، والبحث في
أصول اللهجات وربطها ببعضها أو
بالفصيحة، ومما رصد في ذلك:

- الوَرْطَة : الهلكة

- الزفت: القار.

- السكة - الطريق.

- الفوطة: نسيج قطني يجفف به
الجسم.

- المنديل: نسيج يجفف به.

- الجكر: المجادل.

- خَبْصُ: خلط.

١٣- يمكن إغناؤها بكلمات ذات
أصل فصيح من خلال الاهتمام
بالتفاصيل: وهو من أهم خصائص
العاميات، وهو ما يضمن لها
البقاء والتداول، وإن استثمار هذه
الخصيصة يمكن أن يعيد الكلمات
الفصيحة إلى الوجود الاستعمالي،
لاسيما في الحرف والصناعات بدلا
من الكلمات الأجنبية.

١٤- إهمال الاستعارات والأمثال الشعبية
المحصورة في لهجة محلية معينة: لأن
خفاءها يعقد المعنى، ولكن يمكن أن
تستخدم ما شاع من ذلك وانتشر،

أو تحميل الكلمة دلالات جديدة
معاصرة: ومن ذلك قولهم: تواجد،
ويقصد وُجد أو تجمع أو حضر،
ومعناها الصحيح هو الحزن والوجد،
ومنها كلمة تنش أي سرق، وأصلها
نزع الشوك، واستخرج الشيء، وغير
ذلك، وأكثر هذه الاستعمالات قد
أجيزت في بعض المعاجم الحديثة.
ويمكن تحميل الكلمة دلالة جديدة
مثل (شاطر، رضخ) وغيرهما،
وهو خير من إخراجها عن دلالتها
القديمة وإكسابها دلالة مغايرة تؤدي
إلى إهمال الاستعمال الأصلي إلى
استعمال خطأ؛ لذلك نلاحظ أن
المعجم المعاصرة تجيزه. وهناك كتب
ترصد تلك الكلمات التي اخترقت
الاستعمال الموروث وجمعت في كتب
مثل: معجم الأخطاء الشائعة لمحمد
العدناني، ومعجم الخطأ والصواب
لإميل يعقوب.

١٠- الاستفادة من خصائص اللهجات
الأخرى: وهي في ذلك تقوم بدور
اللهجة المشتركة وقت نشوئها، لكنها
لا ترقى -ولا نريد لها أن ترقى-
لتكون لغة مشتركة يُتخلى بها عن
الفصيحة، ومن ذلك: كسر أحرف
المضارعة (نعرف، تجري)، فذلك
خير من إدخال حرف الجر عليه مثل:
(أنا بحب، أنت تعرف) لأن له سندا
لغويا تراثيا.

١١- قابليتها للتطور: فإن هالة القداسة
التي تتمتع بها الفصيحة تقتطعها
اللهجة البيضاء؛ لذلك يسهل أن
تتغير وتتطور من وقت لآخر، وهذه
الخصيصة تجعل هناك فرصة

كان البديل الفصيح بعيدا أو ملبسا
أو مبهما أو يحتاج إلى توضيح، ومن
ذلك:

- أبله: الأخت الكبيرة، أو المدرسة.

- أرتوازي: وتعني بئر محفورة بمثقب.

- أرشيف: مكتب لحفظ الوثائق.

- أسفلت: طلاء الطرقات.

لكن يجب الحذر من التوسع في تلك
الخصيصة لاسيما في الكلمات التي لها
بديل عربي فصيح واضح مثل:

- يقول: كلينكس، ويمكنه أن يقول:
منديل.

- يقول: OK ، ويمكنه أن يقول:
حاضر، إن شاء الله، خلاص، تم،
طيب، ماشي.

- يقول: Bye ، ويمكنه أن يقول: مع
السلامة، السلام عليكم، إلى اللقاء،
بالسلامة، سلام.

- يقول: أبله، ويمكنه أن يقول: أستاذة
أو معلمة.

٨- تقبلها الخطأ والتحريف والتغيير
والحذف والإضافة في البنية
التصرفية بغير قاعدة:

- من أمثلة الحذف: جعان أصلها
جوعان. أيش أصلها أي شيء. ليش
أصلها لأي شيء.

- من أمثلة الإضافة: أنه لا يحذف ياء
المنقوص في الكلمة النكرة، فيقول:
محامي، ماشي.

- من أمثلة التحريف والإبدال: معلقة
أي معلقة، ضل أي ظل.

- من أمثلة الاشتقاق الخاطئ: راجل
ورجال. والجمع رجاجيل ورجالة.

٩- إمكانية الخطأ في استعمال الكلمة
الفصيحة في غير ما وضعت له

بمعنى هكذا، ولها مترادفات لهجية
عامية كثيرة جداً، مثل: هيك، هيكه،
كذي، كذا، كه، تشدي، تشي، هكّه.

٧،٣ - سلبيات اللهجة البيضاء:

يختلف استنتاج سلبياتها حسب
اختلاف جهة النقد، فهناك جانبان على
طريقتي نقيض، ينظران إليها ويقيمانها،
فالمتعصب للهجته ستكون له مأخذ تختلف
عن اللغوي المحب للغة الفصيحة، ومن هنا
تولد المأخذ والسلبيات.

ولكن تبدو اللهجة البيضاء في موقف
إيجابي إذا نظرنا إليها على أنها مرحلة
أنية تطور من اللهجات وتقارب بينها
للارتقاء بأنفاؤها نحو الفصيحة، وتتخلى
عن اللفظ العامي الفارق في الخصوصية،
كما أنها تتخلى عن اللفظ الفصح الفارق
في الغموض والإهمال، وتترك هذا النوع
من الألفاظ للكتابة عموماً وللأدب، وهي
بذلك لا تلغي الفصيحة ولكن تجعلها هدفاً
لها، وهي كذلك لا تهدم اللهجات ولكن
تطورها، من هنا يمكن أن نقلل من المأخذ
والسلبيات التي قد توجه إليها من قبيل
التعصب لا الحيادية.

كذلك يمكن أن تكون هناك بعض
السلبيات التي تأتي من باب الرصد
الواقعي لهذه اللهجة، ومنها:

- اقتصارها على المثقفين والأدباء ودور
التعليم الأكاديمي والإعلام والصحافة
والحضر والمدنية.
- افتقارها إلى الرعاية والتكبير
والدراسة، تشككاً أو تعصباً للهجة.
- القلق من اعتمادها بدلاً عن الفصيحة،
والتخلي عن الضوابط التي تضمن
رقيها إلى الفصيحة.

- أريد يغني عن: أبغي، أبي، أبا، عاوز،
داير، اشتي.

- الآن: تغني عن: هسه، الحين، دلوقتي،
هلا، ذلحين.

- هكذا: تغني عن: كده، كدي، جدي،
هيك، هيكه، كذا، كه، تشدي، تشي،
هكّه.

- أسرع: تغني عن: اقلب، يالله، روح،
جلدي، خلص، أنجز، دهديه، اربع.

- اذهب أو ابعده: تغني عن: غور، روح،
زول، انقلع، خوز، اتاخر.

- لا أريد: تغني عن: مابا، مش عاوز،
مشتيش، مابدي.

١٧- تساعد على التخلص من المشترك
اللفظي الذي يؤدي إلى اللبس في
اللهجات بالإضافة إلى مسمياتها
الخاصة، وكذلك الكلمات التي تحمل
إيحاء مخالفاً، ومن ذلك:

- الدولار: يعني خزانة الملابس، وإطار
السيارة، ومسمياتها الخاصة مثل:
الكبت، الخزانة.

- العافية: بمعنى النار، والمصيبة،
والمرض، والشفاء، والسلامة.

- مبسوط: بمعنى مضروب، وفرح
سعيد.

١٨- إمكانية استخدام الكلمات المولدة عن
أصل فصيح: وذلك أهم خصائص
اللغات عموماً، لاسيما العربية، التي
تتميز بالاشتقاق.

١٩- إمكانية استخدام لفظة عامية إذا
اتفق على وضوحها وذيوها وقدرتها
على التعبير عن المقصود للجميع.
وينصح هنا أن تستخدم الكلمات
العامية التي لها أصل فصيح: فهي
أقل ضرراً من غيرها، مثل كلمة كده،

أو ما أعيد تبييض بعد ألفاظه، ومن
ذلك:

- ابعده عن الشر وغنّ له.

- ما حك ظهرهك مثل ظهرهك.

- إذا كبر ابنك خاويه.

- آخر الدواء الكي.

١٥- سهولة التخلص من الأخطاء المتمكنة
لقواعد اللغة العامية: فالتحدث
باللهجة البيضاء يمكن المتحدث من
ترك أي خطأ لهجي، أو صوتي، ويعتمد
ذلك على مدى حرص المتحدث على
الارتقاء بلهجته إلى الفصيحة، ففي
اللهجة المصرية يمكن أن يقال:
سنسافر ولا يقال: (هنسافر)، وأن
يقول الثواب والذنوب، ولا يقول:
السواب والزنوب. ومن أخطاء
التركيب التي يمكن أن يتخلص منها
الجمع بين الشيء وضده مثل قولهم:
لقيته غير موجود، قعد يمشي، قام
يقول. ومن الأخطاء البنوية إعادة
ترتيب حروف الكلمات، ومنها: قولهم
مثلاً في اللهجة السودانية: داير عن
رايد أي يريد، وجداد عن دجاج،
وتكنو عن كانوا أي كأنه، ورعبون عن
عربون.

١٦- سهولة التخلص من المترادفات
اللهجية وردّها إلى كلمات أصيلة
فصيحة: وتعد هذه الخصيصة من
أهم خصائص اللهجة البيضاء، فلا
يتخرج ناطقها من دمج المترادفات
المعنوية في جميع اللهجات فيجعلها
كلمة واحدة فصيحة أو أقرب إلى
الفصيحة، فنقوم اللهجة البيضاء
 بإعادة الأمر إلى أصله ليفهمه
الجميع، فمثلاً:

يُستفاد منها.

إننا لا ننفي صدور قرارات سياسية تحفيزية أحيانا وفي حالات قليلة جدا إلزامية توجب الالتزام باللغة العربية الفصيحة تحدثا أو كتابة في المؤسسات التعليمية، وكذلك صدور موثيق توجيهية وعقد مؤتمرات سنوية ودورات توجه كلها نحو العناية باللغة العربية، ولكن هذه القرارات السياسية لم تكن على قدر مستوى الخطورة التي نتهددنا، حتى ظهرت أجيال لا تعرف في لغتها شيئا. "إن آفة اللغة العربية اليوم أنها غير مسنودة بالتشريعات الملزمة والأنظمة الحامية لها التي تصد عنها عدوان المعتدين. ونستطيع أن نقول إن اللغة العربية مكشوفة بلا غطاء قانوني يتبهاشُر المتربصين بها. بينما اللغات الحية في العالم كله، مدعومة بالتشريعات ومدعمة بالأنظمة، أو إذا شئنا قلنا مدعمة من الأنظمة" (٢٧).

أصبح الأمر يستعري اهتمام كثير من القادة والوزراء وصناع القرار حتى ظهرت مؤخرا دعوات كثيرة مبشرة بتوجه عام وتفكير جمعي نحو العناية باللغة العربية الفصيحة، وتمثل ذلك في بعض الخطوات الجريئة، منها:

- قانون حماية اللغة العربية الأردني لسنة ٢٠١٥.

- توصيات المؤتمرات الكبيرة المعنية بحماية اللغة العربية ومنها مؤتمرات مجلس اللغة العربية التي تقعد سنويا في دبي بالإمارات المتحدة العربية. ومؤتمر التعريب الثاني الذي عقد بالجزائر عام ١٩٧٢ وغيرها.

- «قرار وزير التعليم المصري بضرورة

مما يؤثر في تطور القدرة على الفهم والاستيعاب.

إن الضعف في اللغة العربية جزء من الضعف العام الذي يصيب التعليم في الوطن العربي، ولكل ذلك أثره الكبير في بقية مجالات التلقي من إعلام وفن وأدب وغيره، وإنني على ثقة من أن اللهجة البيضاء قد تؤدي دور المنقذ بأدواته البدائية، ولكنه في النهاية يعد منقذا، قد أبعاد عن الهلاك الضحية؛ فإنني من خلال عملي بالتدريس أرى واقعا هو أنأى بكثير جدا عما يظنه المتخصصون ومحبو اللغة الفصيحة، ولكن أقل نظرة إلى الواقع تدعونا إلى أن نخفض سقف توقعاتنا، وننقذ بأدوات بدائية لكنها ممكنة؛ فذلك خير من أدوات متقدمة غير ممكنة.

١،٤ - القرار السياسي والمؤسسي في تمكين اللغة العربية الفصيحة :

إن اللغة العربية هي اللغة الرسمية الأولى لكافة بلدان الوطن العربي، وهي لغة عربية ثانية بعدد غير قليل من الدول، لذلك نصت دساتير تلك الدول على وجوب رعايتها والتحدث بها، لكنها لا تعدو أن تكون مجرد قرارات لم تجد حيزا واقعا تُنفذ من خلاله، ولم تجد طرقا وآليات تضمن لها الصيانة، مما جعلها في النهاية مجرد نصائح وتوجيهات، ومع ذلك فإن هناك بعض القرارات التي كان لها صدى؛ فهناك مؤسسات منعت الإعلانات بغير اللغة العربية، وأخرى أوجبت التخاطب بها، وأخرى فرضت غرامة على من يصدر نشراته الداخلية بغيرها، وأخرى أوجبت التحدث بها داخل الصفوف الدراسية وغير ذلك مما يمكن أن نعهده تجارب جيدة

- لا تعبر عن كل الأغراض، وهنا يمكن اللجوء للفصيحة التي تتمتع بالثراء الكافي للتعبير عن كل غرض.

- إهمالها الإعراب وهو من أهم خصائص العربية التي تميزها عن غيرها من اللغات السامية.

- ضعفها من الناحية الجمالية والتصريفية، وذلك لاقتصارها على الألفاظ والتعبيرات المشتركة الواضحة لجميع العرب، وهذا يقلل من فرص الإبداع والجمال والاشتقاق والتصريف.

٤- المبحث الرابع :

أثر تمكين اللهجة البيضاء في العناية باللغة العربية :

إن الطلاب يواجهون مشكلة في فهم المعلمين الذين يتحدثون العامية، لاسيما في البلدان التي تتكون فيها شريحة المعلمين من جنسيات مختلفة، وكذلك المشاهدون لا يفهمون كلمات عامية ينطقها مذيعون من أقطار عربية مختلفة. والشئ نفسه في الحقول التواصلية المختلفة؛ لذلك ينبغي أن تكون اللغة العربية الفصحى هي الأساس في الحديث والتعليم، لكن إلى أي مدى يمكن أن يُطبَّق ذلك؟

إن التحدث باللغة الفصيحة مما يستقله الناس عموما، بل قد يستقله المتعلمون بل معلمهم، وقد نجد من معلمي اللغة العربية من يتحدث بلهجته المفهومة في درس اللغة العربية؛ لأنها في النهاية أسرع في إيصال المعلومة، وأيسر في النطق وأقرب إلى سليقته وأدعى إلى فهم الطلاب، وهو يتغافل بذلك عن كون التحدث بالفصيحة مما يترسخ في ذهن المتعلمين لاسيما في الصفوف الأولى،

التخاطب والتواصل المختلفة يجب أن تكون من الأولويات القائمة على رأس الخطط طويلة المدى للأمة العربية، ولأن الانتقال من العامية إلى الفصحى لا يمكن بدون اللجوء إلى مرحلة وسطى بينهما؛ فينبغي أن نمكن للهجة البيضاء أولاً، لننتقل منها إلى جعل اللغة العربية الفصحى لغة خطاب يومي، وسوف نرصد أثر اللهجة البيضاء على خمسة مستويات: التعليم والتربية والأدب والإعلام والفنون.

وقد ظهر لي أن مجال الفنون الغنائية والتمثيلية هو أكثر المجالات اهتماماً باللهجة البيضاء يتبعه مجال الإعلام ثم الأدب ثم التعليم ثم التربية. أما من ناحية الانتشار والتطبيق الفعلي للهجة البيضاء فيأتي الإعلام في المقدمة ثم الفنون الغنائية والتمثيلية ثم الأدب ثم التعليم ثم التربية.

١٢،٤ - أثر تمكين اللهجة البيضاء في التعليم؛

إن الطلاب في جميع المراحل التعليمية الجامعية وما قبل الجامعية يعانون من إشكالية التواصل مع بعض المعلمين، لاسيما في بلدان الخليج العربي؛ بسبب شريحة المعلمين التي تتكون من جنسيات مختلفة، مما قد يعوق التواصل التام بين الطالب والمعلم، وهو بدوره يؤثر على مهارات الطلاب ومستويات إدراكهم، ويعقد العملية التعليمية والتربوية، فيؤدي إلى مخرجات تعليمية متدنية.

ثم إن تلقي الطلاب اللغة الأم من صغرهم بلهجات مختلفة قد يؤثر تأثيراً سلبياً في مهارات التفكير العليا، فمن المعلوم أن الإنسان يقوم بعمليات التفكير

على شبكة "الإنترنت". ومنها إطلاق أكبر جائزة في تاريخ اللغة العربية، ومن مخرجاته الكثيرة: تشكيل لجنة عربية دولية مكونة من خبراء متخصصين تهدف إلى إحياء اللغة العربية وجعلها لغةً للعلم والمعرفة، وتطوير أساليب تعليمها بشكل عصري^(٢٠)، ومن قرارات هذه المبادرة:

- تقديم تقرير دوري نصف سنوي يتعلق بالتقدم المنجز في تطبيق توصيات مبادرة ميثاق اللغة العربية.

- زيادة الجهود المبذولة في تعزيز اللغة العربية في المجال التعليمي والتربوي من خلال تدريب المعلمين وتحديث طرق التدريس وبرمجة وتقوية المناهج.

- تتضمن أنظمة خدمة المتعاملين طلباً لتقديم الأوراق الثبوتية والمستندات باللغة العربية كواجهة أساسية.

- مخاطبة وسائل الإعلام بأجهزتها السمعية، والمرئية، والمقروءة لتفعيل دورها البارز والبالغ الأهمية في تحسين مستوى المواد، والبرامج المقدمة باللغة العربية، وزيادة المواد الإعلامية المعززة لمكانتها.

- اعتبار اللغة العربية من المعايير المؤهلة للفوز بجوائز التميز والجودة.

- متابعة لافتات المحلات والإعلانات التجارية للوقوف على الأخطاء الإملائية والنحوية، وتصحيحها.

- عقد لقاءات وورش عمل مع الجهات المعنية بتطبيق بنود وتوصيات ميثاق اللغة العربية لتنفيذ بنودها.

٢،٤ - أثر تمكين اللهجة البيضاء على اللغة الفصحى؛

إن تمكين اللغة العربية في حقول

التزام المدارس الدولية والأجنبية في مصر بمقررات اللغة العربية والتربية الدينية التي تلتزم بها المدارس الحكومية^(٢٨).

- إلزام وزير التربية والتعليم بالملكة العربية السعودية المعلمين بالتحديث باللغة العربية الفصحى في الفصول الدراسية، كما جاء بجريدة الشرق السعودية بتاريخ ٢٨/٥/٢٠١٤.

- مبادرة سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم لدعم اللغة العربية.

ويمكن أن نلقي الضوء على هذه المبادرة بوصفها مثالا على أهمية القرارات السياسية التي تعنى باللغة العربية: قد أعلن عن تشكيل لجنة تحديث تعليم اللغة العربية بتوجيهات كريمة من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، في ٢٢ أبريل ٢٠١٢ خلال الجلسة الأولى لمجلس محمد بن راشد للسياسات، وجاء الإعلان ضمن منظومة متكاملة من المبادرات الهادفة إلى تعزيز مكانة اللغة العربية في دولة الإمارات العربية المتحدة^(٢٩).

وتشمل هذه المبادرة ميثاقاً للغة العربية لتعزيز استخدامها في الحياة العامة، ومجلساً استشارياً برئاسة وزير الثقافة لتطبيق مبادئ الميثاق، ورعاية كافة الجهود الهادفة لتعزيز وضع اللغة العربية، بجانب مبادرات تتعلق بإحياء اللغة العربية بوصفها لغة للعلم والمعرفة وإبراز المبدعين من الطلبة فيها، شملت إطلاق كلية للترجمة ومعهد لتعليم العربية لغير الناطقين بها إضافة إلى مبادرة إلكترونية لتعزيز المحتوى العربي

الإنترنت بأن الدول العربية تخصص وقتاً كبيراً للغة العربية في مناهجها الدراسية، فالمناهج المصرية تخصص في السنوات الست الأخيرة من التعليم العام (من الصف الأول متوسط إلى الصف الثالث الثانوي) ١٢٩٠ حصة، بينما تخصص المناهج السورية للمدة نفسها ١١٥٢ حصة، وتخصص المناهج السعودية ١٠٨٠ حصة، في حين تخصص المناهج البريطانية على سبيل المثال - كدولة أوروبية - ٥٧٦ حصة للغة الإنجليزية في المدة نفسها. والأمر نفسه تقريباً بالنسبة للدول الأوروبية الأخرى" (٢٢).

إن أفضل طريقة لتعلم اللغة هو التلقي المشاهدة الصحيحة؛ لذلك كان العرب يحرصون على إرسال أبنائهم للبادية لتصحيح لغتهم، وكان يحرص بعض الشعراء على فعل ذلك أيضاً، فلو سمع التلميذ في مراحل دراسته الأولى اللغة العربية صحيحة أو على الأقل بألفاظ غير عامية فسوف تترسخ عنده طرق نطقها وتتطور طرق التعبير بها فضلاً عن تحسين المخارج، وغير ذلك من الفوائد الجمة لسماع اللغة الفصحى في المراحل الأولى. وقد جرب دارسون مع أبنائهم التحدث بالفصحى في سنهم الصغيرة حتى أتقنوا الرفع والنصب والجر بلا خطأ تقريباً، والجميع يلاحظون أن أبناءهم يستطيعون التحدث باللغة العربية الفصحى بعد مشاهدة الأفلام الكرتونية المعربة إلى اللغة الفصحى أو المسلسلات التاريخية والبرامج الوثائقية.

وإن كل ذلك يصلح في المراحل المتقدمة من التعليم؛ لأن الله تعالى أودع في الأطفال قدرات لغوية فائقة، فهو

بصنعاء تلزم المعلمات التحدث بالعربية الفصحى" (٢١). وقد لفتت التجربة انتباه أولياء الأمور مع ملاحظتهم تحدث أبنائهم بالعربية الفصحى وأن استجابتهم كانت جيداً على الرغم من أعمارهم التي تتراوح بين ثلاثة وعشرة أعوام، وأن سماع الطلاب معلماتهم جعلهم يتحدثون الفصحى بشكل تلقائي.

- تأسيس روضة نموذجية بالكويت في عام ١٩٨٨م، يتحدث الأطفال فيها باللغة العربية طوال اليوم الدراسي، وهدفت الروضة إلى تعليم اللغة العربية الفصحى للأطفال بالفطرة والممارسة، ونجحت الفكرة نجاحاً هائلاً، وكتب عن دار الحضانة العربية عدد من الاستطلاعات والأخبار الصحفية، وكلها تؤيد الفكرة وتؤكد نجاحها. (٢٢) - مبادرة الدكتور عبدالله الدنان التي سماها التعلم بالفطرة والممارسة.

إن هذه النماذج تعد أمثلة يحتذى بها في تنفيذ أجود الطرق في تعلم اللغة العربية الفصحى، فعلى الرغم من كثرة الحصص التي تدرس اللغة العربية بالقياس على اللغات الأخرى، وكثرة طرق تدريس اللغة العربية، وفرة الدراسات التي تساعد المعلمين على تحسين أدائهم في تدريسها، فإن الملاحظ أن هناك ضعفاً شديداً عند الطلاب في التحدث باللغة العربية الفصحى؛ إذ إنهم يدرسون حصة أو حصتين في اليوم يسمعون في ثلثها لغة فصحى وفي ثلثها عامية، ثم يخرجون من حصة اللغة العربية فلا يتكلمون الفصحى طول اليوم.

"تفيد إحصائية نشرت على شبكة

البيسطة والمعقدة من خلال لغته الأم، فكلمة كانت صافية وخالصة وممتقنة ومبدعة أدى ذلك إلى تفكير صاف وممتقن ومبدع، فإن الإبداع لا يكون إلا باللغة الأم، وإن اللهجات عموماً، واختلاطها يؤدي إلى اختلال التفكير لأن اللهجات لا تقي بكل أغراض التفكير كما تقي الفصحى.

هناك مئات الأبحاث حول طرق توظيف اللغة العربية الفصحى في مراحل التعليم المختلفة، وخرجت كلها بتوصيات مهمة تحسن من طرق توظيفها، لكن الأمر لا يعدو كونه بحثاً أنجز ليس له أثر واقعي؛ إذ قلما تؤخذ هذه التوصيات بعين الاعتبار؛ أو تشفع بقرار مؤثر من صانعي القرار؛ وذلك لأن هناك إقراراً بصعوبة تنفيذ هذه التوصيات لعدة أسباب أهمها أن المعلمين أنفسهم لا يتقنون التحدث باللغة العربية الفصحى؛ بسبب تساهل الجامعات في منح الإجازة لخريجين لا يجيدون اللغة العربية تحدثاً، وسوف يوكل إليهم مهمة تعليمها للناشئة.

وقد ظهرت عدة مبادرات سياسية وقرارات رسمية تشجع على التواصل باللغة العربية الفصحى في المدارس والمؤسسات التعليمية المختلفة، ووصلت بعض هذه المبادرات إلى الإلزام أحياناً، ومن ذلك:

- إلزام المملكة العربية السعودية المعلمين بالتحدث باللغة العربية الفصحى في الفصول الدراسية، فقد جاء بجريدة الشرق السعودية وغيرها تحت عنوان: "التربية والتعليم تلزم المعلمين بالتحدث باللغة العربية الفصحى في الفصول الدراسية" بتاريخ ٢٨/٥/٢٠١٤.

- تجربة تطبيقية بإحدى المدارس اليمنية، فجاء خبر تحت عنوان: "مدرسة

٢٠٢٤ - أثر تمكين اللهجة البيضاء في الأدب:

إن هناك دعاوى كثيرة، وميل أكثر من الكتاب المعاصرين إلى استخدام اللهجة البيضاء بديلاً عن لهجتهم المحلية بحثاً عن توسيع قاعدة التلقي عند الجمهور العربي، إن الأمر يسير، عليه أن يختار لتصديته العامية الكلمات المفهومة، فنرتقي بها إلى درجة من الوضوح لكل العرب بدلاً من أن تقتصر على فئة قليلة من المتلقين.

وقد أخذت هذه الدعاوى تنتشر وتجد قبولا أحيانا ورفضاً من أصحاب اللهجات الخاصة أحيانا أخرى خوفاً على لهجتهم من الزوال، وليت عمري ما الذي يخيف مجتمعا عربيا ما من تغير لهجته؟ ومن المعروف أن التغير والتطور هو

أهم سمة من سمات اللهجات الخاصة بل اللغات عموماً، وما المانع أن تتغير اللهجات أو تتوحد نحو لغة أصيلة قوية متميزة جامعة تتعلق بها معالم هويته وثقافته المتجذرة؟

لا نستطيع أن ننكر فقر اللهجة البيضاء بالقياس على اللهجات المحلية أو اللغة الفصيحة، فالنوعان الأخيران متميزان بالتنوع والثراء، وهذا يؤكد معروف، وتفتقر اللهجة البيضاء لتلك الميزة لأن الاتفاق على ألفاظ محددة مفهومة لجميع العرب يضعف المعجم اللغوي إذا قيس بحجم اللهجات الخاصة التي تتولد باستمرار، ولكن يمكن أن نقول: إن اللهجة البيضاء مثلها مثل غيرها يمكن أن تتطور ولكن من خلال مجتمع تنتشر فيه، فيكفيها عقد من الزمان يتبناها مجتمع ما وسوف نرى خاصية التوسع

ينمو جهازه الصوتي.

وكلما تمتع الوالدان بقدرات لغوية متمكنة في اللغة الفصيحة أثر ذلك على أطفالهما، ومن أهم عوائق تلقي الطفل لغة صحيحة جهل الأبوين بالفصيحة، وقد جرب ذلك بعض اللغويين مع أطفالهم، فوجدوا أن الأطفال دون السادسة يتفاعلون بطريقة مذهلة معهم، ومن هؤلاء الدكتور عبدالله الدنان في تجربته مع ولده باسل، ولها مقطع (فيديو) مصور سنة ١٩٨١، وفيه أبدى صغيره قدرة عجيبة وتلقائية ومستمرة وخالية من الأخطاء تقريبا مع.

هذه التجربة جعلت الدنان يتبنى هذه الفكرة وسماها نظرية تعلم اللغة بالفطرة والممارسة، وأصدر فيها كتابين: كتاب "نظرية تعلم اللغة العربية الفصحى بالفطرة والممارسة"، يوضح فيه ملامح نظريته، وكتاب "التيسير في قواعد اللغة العربية" يهدف من خلاله إلى تبسيط بعض القواعد التي تساعد على التحدث بالفصيحة.

انطلق هذا الأب بنظريته من منزله فطاف بها أقطارا عديدة من الوطن العربي، حتى وجدت صدى كافيا لكي تتبناها بعض المؤسسات التربوية، وبعض الآباء مع أبنائهم. وأسس الدنان "دار الحضارة العربية" عام ١٩٨٨م في الكويت، و"روضة الأزهار العربية" عام ١٩٩٢م في سورية لتعليم اللغة العربية للأطفال بالفطرة و الممارسة. وصمم برنامجاً لتدريب المعلمين والمعلمات وغيرهم على المحادثة باللغة العربية الفصحى، انطلق بكل ذلك من تجربة تربوية منزلية مع ولده باسل.

يكشف ويعدل ويحسن ويتراجع ويقوم ويصحح، وكلما تقدم به العمر تأخرت هذه القدرات، لكنه يحتاج فقط إلى ممارسة صحيحة، أما طلاب المراحل المتوسطة والأكثر سناً فربما يجدر معهم استخدام اللهجة البيضاء بضوابطها المذكورة: حتى تعاد سليقتهم اللغوية إلى الاعتدال ثم إلى الفصيحة.

إنني أهدف بدعوتي من تخطوا مرحلة البناء اللغوي وأظن ذلك يبدأ من سن العاشرة تقريبا أو أقل، وذكرْتُ بعض الدراسات أن ذلك يبدأ من السادسة تقريبا، علينا أن نوجههم إلى الحديث باللهجة البيضاء، وتخطى معهم عوائق الحديث على علاقته ولحنه وأخطائه نحو لغة فصيحة ناصعة بالتدريب المستمر والممارسة الصحيحة.

٢٠٢٤ - أثر تمكين اللهجة البيضاء في التربية:

إن التربية المقصودة هنا لها شقان: شق يُسند إلى المؤسسات التربوية، وهو في النهاية تقع مهمة القيام به على عاتق المعلم ومدير المؤسسة والهيئة المركزية المعنية بالتربية والتعليم في الدولة، وشق آخر لا يقل أهمية عن الأول بل يزيد عليها أهمية وهو الأسرة.

إن للأسرة دورا عظيما في تربية أبنائها على الاهتمام باللغة العربية الفصيحة، وإنما يصب ذلك بطريق مباشرة في تكوين شخصية الطفل من يومه الأول؛ إذ إن أول حاسة تكتمل عنده هي حاسة السمع، وهو مؤهل ليدرك الأصوات ويتفهمها ويعقلها وهو في بطن أمه، لكنه يتأخر قليلا في التحدث بهارثما

الكلمة لها معنى سيء في بلد آخر (٣٦). ومنهم أيضاً بحسب جريدة البيان الإماراتية الإعلامي راشد الخرجي الشهير بـ«أبو عمر» يقول: وعن نفسي أستخدّم البيضاء في برنامجي الإذاعي اليومي (البث المباشر) الذي يذاع من قنّاة نور دبي، وهي لهجة نظيفة يفهمها المواطن والمقيم العربي. فيما يؤكّد الإعلامي محمد خلف مدير إذاعة وتلفزيون الشارقة، أنّ من أهمّ مقومات المذيع الناجح هي إجادّة اللّغة العربيّة، وأضاف أنّه لا بأس من استخدام ما يطلق عليه باللّغة البيضاء. وأيضاً الإعلامي محمد يوسف في تلفزيون نور دبي يقول -بحسب مقال جريدة البيان السابق-: في كثير من الأحيان أستخدّم اللّجة البيضاء لضمان متابعة شريحة أعرّض من الجمهور المتابعين وإيصال المعلومات التي أطرّحها في برامجي لأكبر عدد من الناس، خاصّة وأنّ الكثير من الجاليات العربيّة تعيش بيننا وعلى أرضنا (٢٧).

٥،٢،٤ - أثر تمكين اللّجة البيضاء في الفنّون؛

يتجه كثير من المغنين والممثلين إلى اللّجة البيضاء بحثاً عن الشهرة أو المال أو محبة في نقل رسالته إلى أكبر عدد من المشاهدين؛ لما تقدّمه اللّجة البيضاء لهم من قدرة على نشر العمل الفني على نطاق عربي أوسع، ويستطيع أي متابع أن يدرك ميل الكثيرين من المغنين والمغنيات والممثلين والممثلات إلى استخدام اللّجة البيضاء من خلال أقلّ عملية بحث على شبكة (الانترنت)، أو متابعة النشرات والمجلات الورقية المهتمّة بأخبارهم، بل

بالفصحى التي تتمتع بسحر ومذاق خاص لأنها لغة البيان" (٣٤).

٤،٢،٤ - أثر تمكين اللّجة البيضاء في الإعلام؛

أستطيع أن أؤكد أن مجال الإعلام يقع في صدارة مجالات الاهتمام باللّغة الفصحى أو اللّجة البيضاء، فمن لا يستطيع من المذيعين أن يتكلم الفصحى فإنّه غالباً لا ينزل عن مستوى اللّجة البيضاء إلى لهجته المحليّة، وذلك لأنّهم يدركون مدى انتشار الصوت الإعلامي وتأثيره في الوطن العربي عموماً، لذلك يختار الكلمة الواضحة المفهومة للجميع، ويلجأ عادة إلى استخدامها مذيّعون على قدر كبير من الشهرة، أو قنوات تحقق نسباً كبيرة من المشاهدة، أو برامج مشهورة، بالإضافة إلى نشرات الأخبار في جميع القنوات العربيّة فإنّها تستخدم اللّجة البيضاء استخداماً يكاد أن يكون نموذجاً لما حاولت أن أقرّبه في هذه الدراسة.

وقد نوقشت اللّجة البيضاء في برنامج (دوت شباب) في الحلقة رقم ٢٤ بتاريخ ٢٢ يوليو ٢٠١٤، وخلصت الحلقة حسب ما يذكر موقع mbc الإلكتروني في خبر بعنوان: اللّجة البيضاء المفضّلة للجيل الجديد، أن الجيل الجديد بدأ في أخذ اللّجة البيضاء. (٢٥).

ونستطيع أن نذكر هنا بعض آراء الإعلاميين العرب في اللّجة البيضاء لتوضّح مدى التزامهم بها، فمن هؤلاء الإعلامي "طوني خليفة" الذي قال: "إنّه قرر أن يتحدث اللّجة البيضاء في برامجه، ... مُبرراً قراره بأنّ هناك كلمات لها معنى طيب في بلد ما، ونفس

والتطور بدأت تدب في أوصالها، لتصبح كافية تماماً.

لا يلجأ الشعراء والكتاب الذين يكتبون باللّغة العربيّة الفصحى إلى استخدام لهجة عامّة أو لهجة بيضاء؛ لأنّ ذلك يعدّ خطأ في عملهم الأدبي، وهم كذلك لا يرغبون أن ينزلوا بأدبهم من الفصحى إلى العامي، لذلك لا يبد عليهم أن يلتزموا بضوابط وقواعد اللّغة العربيّة الفصحى، ولكنّ يلجأ لاستخدام اللّجة البيضاء بقصد منهم الشعراء الذين يكتبون شعراً عامياً أو نبطياً، وكذلك يستخدمها جميع الأدباء والمثقفين في حديثهم الثقافي.

وقد عبر كثير من الشعراء والأدباء أنّهم يميلون إلى الكتابة باللّجة البيضاء بدلاً عن اللّجة الخاصّة التي لا يفهمها أصحاب اللّجات الأخرى عادة، ومن هؤلاء على سبيل المثال:

- الشاعر عبد الله الهدية من الإمارات العربيّة المتحدّة، "رغم عشقه للفصحى التي كتب بها ٧٠٪ من قصائده، إلا أنّه خصّص الـ ٣٠٪ الباقية للشعر النبطي الذي كتبه باللّجة البيضاء، وأشار إلى أنّ البيضاء هي لغة السهل الممتنع التي يستعين بها الإعلام المكتوب إذ إنّها تتعد عن المفردات الفصحى التي قد يعتبرها العامّة معقّدة.

ويقول الهدية: نحن خلقنا لأنفسنا لغة بيضاء أقرب للفصحى من المحكيّة، وهي لغة مشتقّة في الأساس من الفصحى بحيث تخلو تماماً من الكلمات المحليّة لتكون القاسم المشترك بين الشعوب العربيّة. وأضاف: أجد فارقاً كبيراً بين إلقاء القصيدة النبطية والفصحى، إذ إنني أشعر بالنشوة حين ألقى قصيدتي

يمكن أن نقول: إن هذا المجال هو أكثر المجالات اهتماماً باللهاجة البيضاء.

ويبدو لي أن الاختلاف حول الهاجة البيضاء في مجال الفناء والتمثيل يشهد أكثر من اشتداد في مجال الإعلام؛ فهناك من يرى ذلك ضرباً من تضييع هوية الوطن وثقافته وأن الهدف منه تحقيق الثراء السريع بالأعمال الفنية التي تتجاوز حدود البلد الواحد، بينما يرى آخرون أن الهاجة البيضاء هي أفضل طريقة للتعبير في الأعمال الفنية لمخاطبة شريحة أوسع من المتلقين. ولا ننكر أن كثيراً من المشاهدين تجذبهم الأعمال الفنية العربية (المدلجة) باللغة الفصيحة وأفلام الرسوم المتحركة (الرسوم الكرتونية) والبرامج الثقافية والوثائقية ونشرات الأخبار.

كما أن كثيراً من المغنين والممثلين اتجهوا إلى توظيف الهاجة البيضاء: فضاء بمجلة الجزيرة (٢٨). بعنوان الهاجة البيضاء.. هل تتقذ الفنانين من أزمة اختلاف الهاجات؟! وفيها تأكيد على أن كثيراً من الفنانين العرب قد اتجهوا إلى الهاجة البيضاء، وذكر أن كاظم الساهر قد اتجه منذ وقت طويل للفناء باللغة العربية الفصحى ووجد قبولاً كبيراً في الوطن العربي واستطاع أن يخرج من

محلته ومن منطقته إلى كافة أرجاء الوطن العربي فقط لأنه اختار لغة مفهومة لدى الجميع، ومثله فضل شاكر ووائل كافوري وعبد المجيد عبد الله وغيرهم كثير.

وفي صحيفة التآخي يرى الملحن محسن فرحان أن اللغة البيضاء أو الوسط كما يسميها تفقد الأغنية المحلية طعمها وهويتها العراقية، وقال فرحان: على الشباب تقديم أغان بالهاجة العراقية بعيداً عن إغراقها بالعامية حتى يضمن وصولها لكل الفئات والطبقات الاجتماعية بالتالي سيضمن وصولها للمتلقى العربي أيضاً. وأضاف: من مهمة الشاعر والمطرب إيجاد حلول وسط للكلمات العامية (٢٩).

ومع هذه الأصوات هناك أصوات في الوسط الفني رفضت هذه الهاجة ورأت أنها ليست بيضاء بل سوداء، ومن ذلك ما جاء بجريدة الإمارات اليوم بعنوان: هدى الخطيب: «الهاجة البيضاء» نتأجها سوداء، تقول فيه: يتحدثون عن لهجة بيضاء يمكن أن تكون بديلاً عن الهاجة الإماراتية في الدراما المحلية من أجل التسويق، لا أعتقد أن الهاجة التي يمكن أن تحل بديلاً للهاجتنا الأم لا تكون سوى سوداء، وتبييضها مجرد خدعة (٤٠).

ولا يضر الاختلاف؛ إذ إنه يثري النقاش حولها حتى يجلي جميع أركانها، وهو ما أراه مبشراً بإمكانية تبنيها.

الخاتمة:

إن فكرة الهاجة البيضاء بوصفها فكرة حديثة نسبياً يمكن أن تكون باباً مفتوحاً على مصراعيه تنطلق من خلاله إلى أمل يتجدد في قلب كل غيور ومحِب للغة الفصيحة، وليس من الممكن أن نحول مجتمعات كاملة من التحدث بلهجات محلية مختلفة إلى مجتمع واحد يتحدث الفصيحة، لذلك فإن هذه الهاجة القريبة من الفصيحة يمكن أن تهيب قاعدة شعبية عربية كبيرة لتلقي الفصيحة بعد عقد أو عقدين من الزمان، مع التركيز على تعليم الأطفال دون السادسة اللغة الفصيحة الخالية من التعقيد مع الالتزام بالإعراب، فهي بذلك تلعو عن الهاجة البيضاء.

ليس المهم أن نعقد مؤتمرات أو نخرج بتوصيات أو نكثر من النصائح والتوجيهات، ولكن المهم أن نبدأ في ممارسة عملية للتحدث بالفصيحة أو أقرب الهاجات إليها.

الهوامش

- ١- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٩٩٩، ج٢، ص١١٢٢، ١١٢٣.
- ٢- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، اقتضاء الصراط المستقيم، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: ٧، ١٩٩٩، ج: ١، ص: ٥٢٨.
- ٣- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللغة وسر العربية، إحياء التراث العربي، ط: ١، ٢٠٠٢، ص: ١٥.
- ٤- المبرد، محمد بن يزيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٤٢١ هـ، ص١١٢.
- ٥- تطبيقات النحويين واللغويين، ص١٣.
- ٦- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٨ م، ج٢، ص٣٤١.
- ٧- منهج مادة الأدب المقارن، كود المادة: GARB٥٥٢٢، جامعة المدينة العالمية، ص٣٨٨.
- ٨- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد القرطبي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج١، ص٣٢.
- ٩- ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، ص٢٢٧، اللغة الباسلة، فتحي جمعة، ص١٣٨، محاضرات في فقه اللغة العربية، إبراهيم الدسوقي، ص١٣٦، خصائص العربية وطرائق تدريسها، نايف معروف، ص٢٨، السيوطي، المزهرة، ج١، ص٢٢١.
- ١٠- F. de Saussure. Cours de linguistique general p ٢٨-٢٩
- ١١- الصويان، سعد العبدالله، النظرية اللغوية عند فردينا ندي سوسير، مجلة الدراسات اللغوية، مج٢، (ربيع الآخر-جمادي الآخرة ١٤٢٢هـ/ يوليو-سبتمبر ٢٠٠١م) ص١٢٣.
- ١٢- دوكريماسير، القياس في اللغة بين علماء العربية ودي سوسير مفاهيم وتطبيقات، مجلة جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، العدد الثاني فبراير ٢٠١٢، ص١١.
- ١٣- حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية ص٣١.
- ١٤- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، ج٢ ص٣٥٩.
- ١٥- عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ج٢ ص٢٠٤١.
- ١٦- الدسوقي، عمر، في الأدب الحديث، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠، ج٢، ص٤٥.
- ١٧- جوزيف فندريس (١٢٨٠ هـ)، اللغة، عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠ م، ص٨١.
- ١٨- السابق.
- ١٩- اللهجات العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى، محمد شفيع الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاكونج، بنجلاديش، ج٤، ديسمبر ٢٠٠٧، ص٧٧.
- ٢٠- دراسات في فقه اللغة، ص١٠٤.
- ٢١- عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ص١٥٠.
- ٢٢- السابق.
- ٢٣- السابق.
- ٢٤- لسان العرب، ج٧، ص١٢٤.
- ٢٥- أخرجه ابن ماجه (٤٢) والحاكم (٩٦ / ١) وأحمد (٤ / ١٢٦).
- ٢٦- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩ م، ج١، ص٣٠.
- ٢٧- عبد العزيز التويجري، حماية اللغة العربية بالقوانين، جريدة الحياة، تاريخ النشر: الجمعة ١٥/٥/٢٠١٥.
- ٢٨- السابق.
- ٢٩- موقع العربية لغة حياة: <http://www.arabicforlife.ae/>
- ٣٠- ينظر: موقع حكومة دبي، (www.khda.gov.ae) هيئة المعرفة والتنمية البشرية: الثلاثاء ٢٤ ابريل ٢٠١٢،

- ٢١ - الجزيرة نت <http://www.aljazeera.net> ، مدرسة بصنعاء تلزم المعلمات التحدث بالعربية، تاريخ النشر: الثلاثاء ٥/٦/٢٠٠٧.
- ٢٢ - جريدة اليوم، بعنوان: تربويون يقترحون التحدث بالفصحى في رياض الأطفال، العدد ١١١٠٦، تاريخ النشر: الثلاثاء، ١١/١١/٢٠٠٣.
- ٢٣ - السابق.
- ٢٤ - جريدة البيان، اللهجة البيضاء.. النطق والمفهوم، الإمارات، تاريخ النشر: ١٦/٥/٢٠١٥.
- ٢٥ - موقع www.mbc.net، <http://www.mbc.net>، تاريخ النشر: ٢٢/٧/٢٠١٤.
- ٢٦ - موقع قناة أبو ظبي، <http://www.abudhabitv.ae>، تاريخ النشر: ٥/٤/٢٠١٥.
- ٢٧ - جريدة البيان، الإمارات، اللهجة البيضاء .. النطق والمفهوم، تاريخ النشر: ١٦/٥/٢٠١٥.
- ٢٨ - مجلة الجزيرة، (تصدر كل ثلاثة عن صحيفة الجزيرة)، المملكة العربية السعودية، العدد ٨٣ الثلاثاء ١٣، ربيع الثاني ١٤٢٥.
- ٢٩ - صحيفة التآخي، بعنوان: محسن فرحان: اللغة البيضاء تفقد الأغنية هويتها، تاريخ النشر: الاثنين ٠٢-٠٩-٢٠١٢.
- ٤٠ - صحيفة الإمارات اليوم، بعنوان: هدى الخطيب: اللهجة البيضاء نتأجها سواد، تاريخ النشر: ١٦-٢-٢٠١٢.